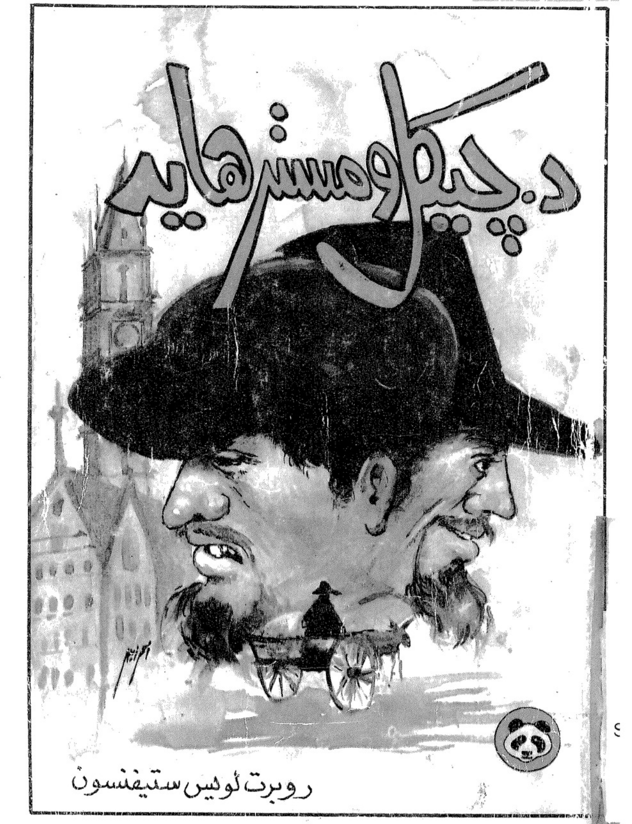
روايات عالمية



روبرت لويس ستيفنسون

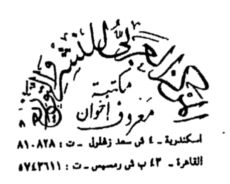
دكتور جيكل ومستر هايد

تأليف

روبرت لويس ستيفنسون

ترجمة

محمد عبد المنعم جلال



اسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت : ٨١٠٨٢٨

القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت : ٥٧٤٣٦١١

الرسوم الداخلية
أشرف مكرم

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

الفصل الأول

قصـة البـاب

كان مستر أترسون المحامى رجلاً عبوساً لايشرق وجهه بالابتسام أبداً ، وكان جاف الحديث ، بخيلا ، بادي الشرور ، قليل الأنفعال ، ومع ذلك فإن هذا الرجل الطويل القامه ، النحيل العود ، العجوز المتسم بالحزن والأسى كان يروق للناس بطبيعته . يشوب عينيه تعبير غاية فى الرقة إذا ماضمته المحافل والاجتماعات وإذا طاب له النبيذ ، ينبثق من نظرته شئ لاتنم عنه كلماته فى الواقع ولاينم عنه فحسب ذلك الصمت الذى يكتنف سحنة المرأ بعد الفراغ من تناول طعام العشاء ، وإنما يظهر بكثرة وبعنف اكثر فى تصرفات حياته . كان صارماً مع نفسه ، يشرب الخمر عادة حين يكون بمفرده ليقهر شهيته للطعام الجيد . ورغم أنه كان يحب التمثيل فإن قدمه لم تطأ أى مسرح منذ عشرين سنة . وكان متسامحاً أشد التسامح ، وبحكم هذه الأصالة كان من نصيبه دائما أن يكون الصلة الأخيرة المعترف بها والأثر الأخير الطيب فى حياة الرجال الموشكين على الضياع . ولم يكن يبدى أبداً ، بالنسبة لهؤلاء أى تغيير فى معاملته لهم طالما اختلفوا إلي بيته .

ولاريب أن هذه البطولة لم تكن تكلفه شيئا لأنه كان دائم العبوس تقريباً ، وحتى صداقاته كان يبدو أنها تقوم علي مودة عامة . كانت هذه هى طريقة المحامى . كان أصدقاؤه ينكونون من ذوى قرباه أو من هؤلاء الذين يعرفهم منذ أوقات طويلة . وعلاقاته أشبه باللبلاب ، تدين بنموها للوقت ولاتطالب صاحبها بأيه مطالب ومن هنا نشأت العلاقة التى كانت تربطه بمستر إنفيلد ، أحد أقاربه البعدين ، وهو رجل لندنى حميم مرموق ومعروف . وكان لغزاً لأكثر الناس إذ كانوا يتساءلون ماهو ذلك السحر الذى يربط بينى الرجلين ، أو ماهى تلك المصلحة المشتركة التى تجمع بينهما . وإذا صدقنا أقوال الذين كانوا يلتقون بهما أثناء نزهاتهما الأسبوعية ، فإنهما كانا لايتبادلان

ولاكلمة واحدة ، ويخفى لمن يراهما أنهما يعانيان مللا كبيرا ، ويرحبان فى ارتياح كبير باى صديق يلتقيان به . وعلى الرغم من ذلك كان كل منهما يهتم أكبر الأهتمام بهذه النزهات الأسبوعية ، ويعتبرها أجمل شئ فى حياته ، ولكى ينعما بها في انتظام كانا يصمان آذانهما عن نداء العمل .

قادتهما الصدفة فى إحدى هذه النزهات الأسبوعية إلي شارع صغير فى حى من أحياء لندن . كان المعروف عن هذا الشارع أنه شارع صغير هادئ رغم أنه يعج طوال الأسبوع بحركة تجارة واسعة النشاط . وكان يبدو على المقيمين فيه أنهم قوم ميسورى الحال ، يعيشون على أمل مضاعفة ثرواتهم ، ويعرضون فى فتريناتهم أحسن مالديهم من سلع . وحتى فى أيام الآحاد ، إذا أغلقت المتاجر أبوابها وحجبت سلعها الجميلة عن العيون والأبصار ، وبقى الشارع معفراً وخلواً من المارة .

وقبل آخر الشارع بمنزلين ، وأنت ماض نحو الشرق ، مدخل حوش يفصل البيوت بعضها عن بعض ، وخلف هذا الحوش بالذات يقع بناء ضخم يلقى بظله على الشارع ، وهو بناء ، وعلى الرغم من ضخامته ، يتكون من طابق واحد غير الطابق الأرضى ، لانوافذ له ، ولاشئ فى واجهته غير باب يعلوه جدار متهدم ، والبيت نفسه يدل مظهره على أنه مهمل منذ وقت طويل . وبابه من الخشب السميك وقد زال لونه ، وعلته القشور ، ولا جرس فيه ولامطرقه ، يأوى المتشردون تحت قبته ويتجمع الأطفال على عتبته ، ومنذ مايقرب من جيل لم يحاول أحد طرد هؤلاء الزائرين أو إصــلاح ماأتلفوه .

وكان مستر أنفيلد والمحامى يسيران فى الناحية الأخرى من الشارع . ولكن عندما مرا أمام المدخل ، رفع الأول عصاه ، وأشار إليه قائلا :

ـ هل ترى هذا الباب ؟

واستطرد يقول عندما أجابه صاحبه بالايجاب :

ـ أن له فى ذكراتى قصة غريبة .

قال مستر أثر سون فى لهجة غريبة بعض الشئ :

ـ حقاً ؟ .. وماهى هذه القصة ؟

أجاب مستر انرايث :

ـ حسنا . اصغ إلى إذن . كان ذلك فى نحو الساعة الثالثة صباحاً فى يوم مظلم من أيام الشتاء . وكنت فى طريق عودتى إلى البيت من مكان فى آخر الدنيا .

وكان طريقي عبر جزء من المدينة لا يلتقى المرء فيه إلا بمصابيح الاضاءة ، والناس كلها نيام . الشوارع متتابعة وكلها مضاءة كما لو أن هناك احتفالاً ، وكلها مقفرة وأرهقت أذنى وأخذت أتمنى ظهور احد رجال الشرطة . ولكننى رأيت فجأة شخصين ، أحدهما رجل قصير يمشى بخطوات ثابتة نحو الشرق ، والآخر طفلة لعلها فى الثامنة أو العاشرة من عمرها ، آتية من شارع جانبى تعدو بكل قواها . وإذا بلغ كل منهما ناصية الشارع التقيا ، واصطدما بعضهما ببعض وهذا أمر طبيعى .

ولكن الذى راعنى بعد ذلك هو أن الرجل داس بقدمه فى برود جسم الطفلة ثم ابتعد تاركا إياها طريحة فوق الأرض وهى تصرخ .ربما ويبدو لك وأنا اسرد عليك هذه القصة أن الأمر عادى ، ولكن المنظر كان بشعاً ، فلم يكن الذى أمامى رجلاً عادياً وانما وحشاً شيطانياً لايعرف الرحمة . وصحت أطلب النجدة ورحت أجرى ، وأمسكت بالرجل وأخذت بتلابيبه ، وعدت به إلى جوار الطفلة التى كانت لاتزال تتلوى وتصرخ وقد أحاط بها جمع من الناس .

واحتفظ الرجل بجأشه ولم يبد أية مقاومة . ولكنه رمانى بنظرة فظيعة لدرجة أحسست معها بأننى اتصبب عرقاً بارداً . وكان الناس الذين تجمعوا أقارب الطفلة نفسها . وأقبل الطبيب فى نفس الوقت تقريباً . وكانت الطفلة قد ذهبت إليه لكى

تستدعيه لعلاج أحد ذويها . صفوة القول أن الطفلة قد اصابها الخوف والهلع الشديد على رأى الطبيب . وكان يبدو أن الأمور ستنتهى عند هذه النقطة ، ولكن حدث أمر غريب ، فقد كرهت هذا الرجل بمجرد أن رأيته . وكذلك كانت الحال مع أقارب الطفلة . وكان ذلك أمراً طبيعياً . ولكن الذى أثارنى اكثر من أى شئ آخر هو تصرف الطبيب ، فقد كان مثال الرجل الطيب ، متوسط العمر ، اسكتلندى اللهجة ، ويبدو أنه بادلنا شعورنا بالذات ، فقد رمانى الرجل الذى أمسكت بتلابيبه بنظرة تنطق بالكراهية وشحب وجهه ، وبدت فى عينيه رغبة القتل ، وخمنت مايدور فى ذهنه كما خمن هو الآخر مايدور في ذهنى ، وحيث أنه لايمكن أن نقتل الناس هكذا ، فقد قمنا بما هو أقرب إلى القتل ، فقلت للرجل أنه يتوقف عليه ألا يثير فضيحة بسبب ذلك الحادث تلوث اسمه فى جميع أنحاء لندن ، وكنا أثناء ذلك نبذل جهدنا لابعاد النساء عنه ، والشر يقدح فى أعينهم . لم أر أبداً فى حياتى مثل هذه الوجوه التى تنطق بالكراهية . ووقف الرجل بيننا . متظاهراً بالشجاعة وهو متجهم . ولكنه كان خائفاً ، ويحاول التغلب على خوفه كشيطان حقيقى . وقال لنا : إذا كنتم متمسكين بعمل مأساة من هذا الحادث فأنا تحت رحمتكم حقاً وأى رجل (جنتلمان) لاغرض له إلا تجنب الفضيحة ، فاذكروا لى ماذا تريدون ؟ وطالبناه عندئذ بأن يدفع مائة جنيه لأهل الطفلة ، وكان ميالاً للمقاومة ، ولكنه إذ رأى أننا مصرون على الشر لم يسعه إلا القبول . وكان لابد له عندئذ من إحضار النقود ، وأين تظن أنه ذهب بنا ؟..

بكل بساطة إلى هذا المكان حيث الباب ، وأخرج من جيبه مفتاحاً ، ودخل ، ولم يلبث أن عاد ومعه عشرة جنيهات ذهباً وشيك بالمبلغ الباقى مسحوب على بنك (كوتس) ومحرر لحامله ، وممهور باسم لاأستطيع أن أذكره لك ، رغم أنه يعتبر إحدى النقاط الهامة فى قصتى هذه .

ولكنه اسم رجل معروف ومرموق ، طالما ظهر فى الجرائد . وكان المبلغ كبيراً.

ولكن التوقيع كان يساوى اكثر منه بكثير ، شريطة أن يكون حقيقياً . وتجرأت وقلت لصاحبنا أن تصرفه يبعد عن المعقول ، وأنه بشئ عجيب أن يدخل أحد من باب بيت حقير فى الساعة الرابعة صباحاً ، ويخرج منه وفى يده شيك بتوقيع رجل آخر بمبلغ يقرب من المائة جنيه . ولكنه أجابنى فى سخرية وعدم اكتراث فقال : لك أن تطمئن ، فلم افارقكم حتى يفتح البنك ابوابه وسأسحب أنا نفسي قيمة الشيك . ومضينا إذن جميعاً أنا والطبيب ووالد الطفلة وصاحبنا لقضاء بقية الليلة فى مسكنى . وعندما طلع النهار ، وبعد أن تناولنا طعام الأفطار مضينا إلى البنك ، وقدمت الشيك وأنا أحدث نفسى وأقول أن لدى من الأسباب مايحملنى إلى الظن بأن التوقيع مزيف .. ولكن أبداً .. كان التوقيع صحيحاً .

تلمظ مستر أترسون فى شئ من الاستهجان ، فى حين استطرد مستر انفيلد يقول :

ـ أرى إنك تفكر مثلى تماما . نعم هذه قصة مكررة لأن صاحبنا كان رجلاً لايرضي أى أحد أن تكون له به أية علاقة . رجلاً بشعاً حقاً ، فى حين أن الرجل الذى وقع باسمه على الشيك يتمتع باحترام الجميع . رجل مرموق ومشهور ، من هؤلاء الرجال المعروفين بحبهم لعمل الخير ، وأعتقد أن الأمر لايعدو أن يكون تهديداً أو إبتزازاً .. رجل شريف يضطر إلي الدفع بسبب هفوه من هفوات الشباب .

وأردف يقول : ومع ذلك فإن هذه النظرية نفسها بعيدة عن تفسير الأمر .

وعلى أثر هذه الكلمات أخلد إلى صمت عميق .

وأخرجه مستر أترسون من صمته بأن قال فجأة :

ـ هل تعرف إذا كان الرجل الذى وقع على الشيك يقيم هنا ؟

أجاب مستر انفيلد : هو مكان مناسب تماماً ، أليس كذلك ؟ ولكننى حرصت على

قراءة العنوان . أنه يقيم فى مكان ما .

عاد مستر أترسون يقول : ألم تستعلم عن ذلك المكان ؟.. أعنى حيث يوجد اسباب ؟

ـ كلا ياسيدى . فإنا رجل ذو ضمير يقظ ، وأنفر من إلقاء الأسئلة ، فهى تذكرنى كثيرا بيوم الحساب ، فإن المرء يلقى بسؤال وكأنه يلقى بحجر . وهناك من يجلس فى هدوء على قمة جبل ، فيقع الحجر ويتدحرج ، ويجر معه أحجاراً أخرى ، وفى النهاية يقع فوق رأس رجل مسن رقيق ، يكون آخر من نفكر فيه . ويتلقى الحجر على أم رأسه وهو واقف وسط حديقته الخاصة ، ولايسع أهله عندئذ إلا أن يغيروا اسمهم ..

كلا ياسيدى .. اننى جعلت لنفسى قاعدة ، فكلما بدت لى القصة مشبوهة كلما استعلمت عنها .

قال المحامى : وهى قاعدة سليمة في الواقع .

واستطرد مستر انفيلد يقول : ولكننى فحصت المكان بنفسى . وهو يكاد يكون مسكناً ليس فيه أية أبواب أخرى ، ولا أحد يخرج منه أو يدخل من هذا الباب فيما عدا صاحبنا ، وذلك فى أوقات متفاوته . هناك ثلاث نوافذ فى الطابق الأول تطل على الحوش ، ونافذة فى الطابق الأرضى . وهذه النوافذ لاتفتح أبداً ، ولكن ألواحها نظيفة ، ثم هناك مدخنة ينبعث منها الدخان غالبا ، وهذا يدل على أن المكان فأهول . ومع ذلك فليس هذا بالامر الأكيد ، لأن البيوت تتشابك حول هذا الحوش بحيث يصعب القول أين يبدأ هذا البيت وأين ينتهى ذاك .

وسار الصديقان بضع خطوات أخرى فى صمت . ثم قال مستر أترسون :

ـ هذه قاعدة سليمة تلك التى تتبعها ياأنفيلد .

أجاب أنفيلد : أعتقد ذلك حقاً .

واستطرد المحامى : ولكن رغم هذا ، هناك شئ أود أن أسألك اياه .وهو ما اسم الرجل الذى داس الطفلة بقدمه ؟

أجاب انفيلد : الواقع انني لاأرى أى ضرر فى أن أطلعك عليه .

إن هذا الرجل كان يدعى هايد.

قال مستر أثرسون : آه .. وماهى هيئته ؟

ـ ليس من السهل أن أصفها لك . فى مظهره الخارجى شئ زائف .. شئ بغيض .. بغيض جداً . لم أر فى حياتى رجلاً سمجاً مثله ، ومع ذلك فلا أدرى لذلك أى سبب . يبدو كما لو كان متنكراً . ويعطى انطباعا بأن به تشويها ما ولكننى لا أستطيع تحديد نوع هذا التشويه . أن له هيئة غريبة .. ورغم هذا لااستطيع حقا أن اشير إلى شئ يخرج عن المألوف . كلا ياسيدى . اننى أقر لك بعجزى عن وصفه ، وليس هذا بسبب خطأ فى الذاكرة ، لأننى فى الحقيقة ، أتخيله كما لو كان واقفا أمامى الآن .

سار مستر اترسون بضع خطوات أخرى فى صمت ، وكان يبدو مشغول البال . وأخيرا قال يسأل :

ـ هل أنت واثق أنه استخدم مفتاحاً ؟

بدأ أنفيلد يقول وهو فى غاية الدهشة : أى صديقى العزيز ..

ولكن أثرسون قاطعة قائلاً : نعم ، أننى أعرف .. أعرف إن سؤالى هذا يبدو غريباً . ولكن الواقع اننى إذا كنت لم أسألك عن اسم الرجل الآخر فذلك لأننى عرفته . تأكد ياعزيزى ريتشارد أن قصتك هذه قد لقيت المستمع الحق ، وإذا كنت قد حرفت شيئاً أو تغاضيت عن نقطة ما كان من الخير أن تخبرنى بذلك .

أجابه الآخر فى شئ من العتاب :

ـ يبدو لى أنه كان يجب أن يطلعني على ذلك ، ولكننى توخيت كل الحقيقة ، كما تقول . كـان مع الرجل مفتاح وهو لايزال معه .. فقد رأيته يستخدمه منـذ ثمانية أيام .

أطلق مستر أترسون زفرة عميقة ، ولكنه لم ينطق . ولم يلبث صاحبه أن قال :

ـ هذا درس جديد سيعلمنى كيف اسكت . وأنه ليخجلنى اننى لم احتفظ بالأمر سراً . ولكن ليكن مفهوماً فيما بيننا ألا نتحدث عن هذه القصة بعد ذلك .

أجابه المحامى : اتفقنا . إليك يدى باريتشارد ، واننى أعدك بذلك .

الفصل الثانى

البحث عن مستر هايد

فى تلك الليلة ، عاد مستر أترسون إلى بيته حزيناً وكان يعيش بمفرده ، وجلس أمام المائدة دون أن يشعر بأية شهيه وكان من عادته كل يوم أحد ، بعد أن يفرغ من طعامه ، أن يجلس بجوار المدفأة ومعه كتاب فى علم اللاهوت ويظل يقرأ حتى تدق الساعة معلنة انتصاف الليل ، ثم يأوى بعد ذلك إلى فراشه فى هدوء وهو راض عن يومه . ولكنه ماأن فرغ من طعامه فى تلك الليلة حتى ذهب إلى غرفة مكتبة ، وهناك فتح خزانته وأخرج من أحد أدراجها السرية ملفاً عليه هذه العبارة ، وصية الدكتور چيكل ، وجلس أمام مكتبه وراح يدرس نصوصها وهو عابس الأسارير . وكانت الوصية محررة بخط السيد لأن مستر أترسون ، وأن كان قد قبل الاحتفاظ بها بعد تحريرها ، إلا أنه رفض أن يتعاون فى كتابتها . ولم تكن تنص على أن أموال وممتلكات الدكتور هنرى چيكل الطبيب ، والحائز على الدكتوراه فى القانون المدني والطب الشرعى ، وعضو الجمعية الملكية وغير ذلك ، يجب أن تؤول فى حالة موته إلى صديقه وولى نعمته ادوارد هايد فحسب ، وانما كانت تنص فوق ذلك على أنه فى حالة اختفاء الدكتور چيكل نفسه أو تغيبه تغيباً غامضاً لاتفسير له يتجاوز الثلاثة شهور فإن ادوار هايد يحل عندئذ ودون أى تأخير محل هنرى چيكل ، ويكون له مطلق الحرية فى التصرف فى أمواله وممتلكاته فيما عدا بعض الأسباب الصغيرة التى أوصى بها للخدمة . وكانت هذه الوصية تثير هلع المحامى منذ وقت طويل ، وكانت تكدره كمحام وكأنسان واعى متمتع بكامل قواه العقلية تحزنه الأهواء والنزوات ، والأعمال الغريبة الغامضة . وكان جهله بكل ما يمت الى مستر هايد هو الذى آثار اضطرابه حتى هذه اللحظة ، ولكن الآن ، بعد كل ما علمه اذ زاد الأمر غموضة ، وغرابة واصبح اسم مستر هايد يعنى بالنسبة له كل معانى السؤ والكدر وخيل للمحامى أنه يرى شيطانا مريدا

يبرز فجأة خلال الضبابات المتموجة والمتقلبة التى صدمت بصرة كل هذه المدة الطويلة .

وقال يحدث نفسه وهو يعيد الوصية الغريبة مكانها من الخزانة : كنت أظن ذلك مجرد ضرب من الجنون ولكننى أخشى ان يتحول الأمر الآن الى فضيحة كبيرة . ثم أطفأ شمعدانه ، وارتدى معطفه وانطلق فى طريقه الى ميدان كافنديش ، قلعة الطب ، حيث يقيم صديقه الدكتور لانيون المشهور ويستقبل المرضى وراح يقول لنفسه :

- اذا كان هناك من يعلم فلابد أن يكون لانيون .

وعرفه رئيس الخدم المهيب ، وبادربادخاله دون أى انتظار ، وتقدمه مباشرة الى غرفة الطعام ، حيث كان الدكتور لانيون قد فرغ لتوه من تناول طعامه وبدأ يتناول الشراب . كان رجلا بشوشا ، يتدفق صحة وعافية ، نشيطا ، متورد الوجه ، فى شعره خصلة دب فيها المشيب قبل الأوان ، تدل تصرفاته على الحزم والجزم ، ما أن رأى مستر أترسون حتى هب واقفا للقائه باسطا ذراعيه . وكان فى هذه الحركة المألوفة شىء يبدو مسرحيا بعض الشىء ، ولكنها كانت تنم عن مشاعر حقيقية لأنهما كانا صديقين حميمين من أيام الدراسة والجامعة ، يدين كل منهما بنفس الآراء ، وهو مالا يكون إلا نادرا . وكان كل منهما يميل الى الآخر ميلا طبيعيا يدعم صلاتهما . وبعد تبادلا بضع عبارات عن المطر وحالة الجو ، طرق المحامى الموضوع الذى يثيره ويقلقه فقال :

- يبدو لى يا لانيون أننا ، أنا وأنت ، من أقدم أصدقاء الدكتور جيكل .

قال الدكتور لانيون مداعبا :

- كنت أوثر أن يكون اصدقاؤه من الشباب ، ولكن لنفرض ذلك فماذا هناك ؟ اننى لم اعد أراه كثيرا فى الوقت الحاضر .

قال أترسون :

- حقا ؟ .... كنت أظنك اكثر ارتباطا به بسبب أبحاثكما المشتركة .

أجاب الآخر :

- كان ذلك فيما سبق . منذ عشر سنوات وقد تغير جيكل وأصبح غريبا وغامضا بالنسبة لى . لقد بدأت حالته تسؤ ... أعنى حالته الذهنية طبعا ...

ولكننى ما زلت مهتما به ، ذكرى للماضى كما يقال . وما زلت أراه ، وإن كان ذلك أقل من ذى قبل .

وأردف الطبيب يقول وقد اضطرب وجهه فجأة :

- ان مثل هذه الترهات العلمية لكفيلة بأن تحيل أشد الناس عقلا الى الجنون .

وكانت هذه العبارة التى تحمل فى طياتها معانى الدعابة بلسما لمستر أترسون ، فقال يحدث نفسه : انهما لم يختلفا الا فى نقطة علمية .

ولما كان الدكتور لا يشعر بأى ميل إلا الى المحاماة فقد أردف يقول :

- ليت الأمر اقتصر على هذا .

ثم ترك لصديقه بضع ثوان لكى يسترد هدوءه . وطرق أخيرا الفرص من زيارته بأن سأله قائلا :

- هل حدث أن التقيت بصديق له يدعى هايد ؟

أجاب لانيون :

- هايد ؟ ...كلا لم أسمع عنه أبدا ، ولم ألتق به ...

كانت هذه هى كل المعلومات التى عاد بها أترسون الى فراشه حيث راح يتقلب باستمرار حتى وقت متأخر من الليل . ولم تكن ليلة هادئة لذهنه الذى راحت الاسئلة تتلاحق عليه وهو غارق فى الظلمات .

ودقت ساعة الكنيسة المجاورة لبيته معلنة الساعة السادسة صباحا وهو لا يزال يفكر فى المسألة ولم تكن قد شغلته فى البداية إلا من ناحيتها العقلانية . أما الآن فقد شطح به الخيال الى حد بعيد ، وبينما كان يتقلب فى ظلمات الليل المدلهمة فى غرفته المسدلة الستائر ، راحت قصة مستر أنفليد تجرى أمام زهنه بطريقة واضحة ،وخيل إليه إنه يرى فوانيس المدينة التى تسربلت بالظلام ، ثم شخصا يتقدم ، وطفلة تخرج من بيت الطبيب وهى تعدو ، ويصطدم الاثنان معا ويطأ الوحش غير الانسانى الطفلة الصغيرة تصطدمه ويبتعد عنها دون ان يحفل بصراخها . أو أنه يرى فى قصر منيف ، وفى غرفة من غرفه ، صديقه يرقد ويبتسم وغارقا فى أحلامه . ثم باب هذه الغرفة يفتح وتبتعد ستائر الفراش فى عنف ويستيقظ النائم ويتملكه الفزع إذ يكتشف بجوار فراشه كائناً لاحول له ولاقوة . وفى تلك الساعة ، حيث يرتد الجميع ، كان لابد له من أن ينهض وأن يفعل مايؤمر به . وألحت تلك الرؤية على المحامى طوال الليل ، وإذا اتفق وغلبه النوم بضع لحظات ، فما كان ذلك إلا لكى يراه يتسلل خلفه إلى بيوت هاجعه أو يمشى بسرعة تظل تتزايد شيئا فشيئا حتى لواخذه منها الدوار ، عبر دهاليز فسيحة، ومدن تنيرها الفوانيس . وفى كل ركن من كل شارع يطأ طفلة صغيرة بقدميه ، ويتركها تصرخ وتولول . وكان هذا الشخص يفتقر دائما إلى وجه ، ولا يستطيع أن يتبين ملامحه.

وبهذه الصورة تولد وتضاعف فى ذهن المحامى شيئاً فشيئا فضول غريب فى أن يرى الملامح الحقيقة لمستر هايد. خيل إليه أنه يكفيه أن يلقى إليه نظرة واحدة لكى ينجلى السر، بل لكى يختفى تماما كما هى عادة الأشياء الغامضة عندما يفصحها الأنسان جيداً، وأن يفهم عندئذ سبب علاقة صديقه الغامض بالمستر هايد ، وسبب نصوص الوصية المذهله . وعلى كل حال فإنه ليكون وجهاً يستحق أن يرى ، وجه رجل لايعرف قلبه الرحمة ، وجهاً لم يكن أنفيلد يراه حتى أحس نحو صاحبه بالنفور

والكراهية .

ومنذ ذلك اليوم ، اختلف مستر أترسون بصفة دائمة إلى الباب الكائن بالشارع الصغير الذى يحف بالمتاجر على جانبيه .. كان المحامى يجد نفسه واقفاً فى ركن من الشارع غير بعيد عن الباب، فى الصباح ، قبل ساعات المكتب ، وفى المساء تحت ضوء القمر الذى يحجبه الضباب ونور الفوانيس الباهت.

كان يقول لنفسه : لن يهدأ لى بال إلا بعد أن أراه .

وتكلل صبره بالنجاح أخيراً . ففى ذات ليلة جميلة جافة كان الصقيع يملأ الجو ، والشوارع نظيفة ، والأرض تبدو كما لو كانت قاعة رقص ، والفوانيس التى لاتحرك أية نسمة ضوء تلقى بنورها وظلالها على الشارع ، وبعد أن أغلقت المتاجر أبوابها فى الساعة التاسعة ، وأصبح مقفراً وصامتاً ، رغم الصخب والضجيج اللذين يعلوان فى الشوراع المحيطة . وكانت أقل الأصوات تتناهى إلى الأسماع من بعيد فى وضوح تام ، ولهذا سمح أترسون دبيب أقدام تقترب وئيداً ، وأحس أنه موشك على الأقتراب من الغرض الذى يسعى من أجله ، أسرع بالاختفاء فى مدخل الحوش.

واقتربت الخطوات شيئاً فشيئاً ، وازدادت وضوحاً فجأة عندما بلغ صاحبها أول الشارع . وأطل المحامى برأسه فى حذر ، ولم يلبث أن تحقق من نوعية الشخص الذى تقدم . كان رجلا قصيراً ، يرتدى ثياباً بسيطة ، وعلى الرغم من بعد المسافة بينهما فقد أثار مظهره نفور المحامى إلى حد كبير . وسار الرجل رأسا إلى الباب ، وعندما بلغه أخرج مفتاحاً من جيبه .

وخرج مستر أترسون من مخبئه عندئذ ، واقترب منه . ولمس كتفه قائلاً .

ـ مستر هايد على ماأعتقد .

ارتد هايد إلي الخلف وهو يأخذ نفساً طويلاً . ولكن خوفه لم يدم وقتاً طويلاً

وأجاب فى رباطه جأش من غير أن ينظر إلى المحامى :

ـ الواقع أن هذا هو اسمى ، فماذا تريد ؟

أجابه المحامى .

ـ أراك موشكاً على الدخول . أنا صديق حميم للدكتور جيكل ، واسمى مستر أترسون ، ومقيم بشارع جونت .. ولاريب أنه حدثك عنى . وحيث اننا التقينا الآن فإنى أظن أنك تستطيع أن تدعنى أدخل معك .

أجاب مستر هايد وهو ينفخ فى مفتاحه :

ـ لن تجد الدكتور جيكل الآن ، لأنه خرج .

ثم أردف يقول فى حدة من غير أن يرفع عينيه أيضاً :

ـ كيف عرفتنى ؟

أجاب مستر أترسون :

ـ سوف أطلب منك أن تسدى إلى جميلا أولاً .

سأله الآخر :

ـ حسناً ، وماهو ؟

قال المحامى :

ـ هل لك أن ترينى وجهك ؟

بدا التردد على مستر هايد ، وكما لو كان قد اتخذ قراراً مفاجئاً ، رفع رأسه فى شئ من التحدى . ووقفا بضع لحظات ، وكل منهما يتفرس فى وجه الآخر ،ثم قال مستر أترسون :



ـ سوف أعرفك الآن اذا رأيتك ، فقد يكون ذلك مفيداً .

قال مستر هايد :

ـ نعم . ومن الخير أننا اتفقنا . وبهذه المناسبة ، من الأوفق أن تعرف عنوانى .

وذكر له رقماً واسم شارع بحى سوهو . وقال مستر أترسون يحدث نفسه :

ياإلهى ! هل يمكن أن يكون قد نمى إلى علمه أمر الوصية .

ولكنه احتفظ بفكرته هذه لنفسه واكتفى بإن تمتم ببضع كلمات شكر بخصوص العنوان . وقال الآخر :

ـ والآن ، قل لى كيف عرفتنى ؟

ـ عرفتك من أوصافك .

ـ ومن الذى وصفنى لك ؟

أجاب مستر أترسون :

ـ أن لنا أصدقاء مشتركين

عاد مستر هايد يقول فى صوت أجش :

ـ أصدقاء مشتركون ؟.. اذكر لى بعضا منهم .

أجاب المحامى :

ـ مستر جيكل مثلا .

صاح مستر هايد يقول فى حدة :

ـ أنه لم يحدثك عنى إطلاقا .. لم أكن أظن إنك خليق بأن تكذب .

قال مستر أترسون :

ـ رويدك ياصاحبى ، إنك تنسى نفسك .

اغلق الآخر من بين شفتيه زمجره وحشية . وفى لحظة خاطفة ، وبسرعة عريبة فتح له الباب ، واختفى داخل البيت .

بقى المحامى فى بداية الأمر حيث تركه مستر هايد ، وهو فى أشد حالات الارتباك . ثم راح يسير فى بطء ، ويقف بعد كل خطوة ، ويرفع يده إلى جبينه كما لو كان فريسة لهم كبير يشغل ذهنه . فإن المسألة التى كان يعالجها تكاد تكون مستغلقة على الفم . كان وجه مستر هايد شاحباً ويعطى انطباعاً بأنه زائف . كان يبتسم ابتسامه بغيضة ، وقد تصرف مع المحامى تصرفاً يكاد يكون مزيجاً من العنف والخجل والجرأة . وكان يتكلم فى صوت أجش ثابت ومرتعش . كل ذلك كان يشهد ضده ولكنه لم يكن كافياً لتفسير النفور ولا الأشمئزاز والخوف اللذين أحس مستر أترسون بهما نحوه . وقال لنفسه لاريب أن هناك شيئاً آخر ، غير أننى لا أستطيع الأهتداء إليه ، وليغفر الله لى . أن هذا الرجل يبدو غير متمدين ، فهل يكون من ساكنى الكهوف ، أو لعل الأمر انعكاس روح شريرة فحسب ، تبدو وهكذا خلال غلاف من الصلصال تغير من شكله .

آه . أظن أن هذه النظرية الأخيرة .. آه إيها الصديق العزيز المسكين هنرى چيكل .. لو أننى رأيت سحنة الشيطان فى وجه فأننى أكون قد رأيتها فى وجه صديقك الجديد .

واجتاز أترسون الشارع ، وانعطف إلى ميدان مربع تحيط به بيوت جميلة قديمة كانت مجردة فى هذه الساعة من عظمتها الماضية ، وأصبح يقطنها الآن أناس من كل الأنواع ومن كل الطبقات ، فمنهم المهندسون ، ومنهم المصورون والحفارون والسماسرة المشبوهون ووكلاء أعمال غامضون . ولكن كان البيت الثانى ، بعد الناصية لايزال ملكا لساكن واحد ، وكان غارقاً في هذه الساعة فى ظلام مطبق باستثناء الباب الذى يدل على ثراء صاحبه . وتوقف أترسون أمام هذا البيت ، وطرق الباب ، ولم يلبث أن

جاء خادم مسن فى ثياب رسميتوفتحه . وسأله المحامى قائلاً :

ـ هل الدكتور فى البيت يابول ؟

أجابه الخادم وهو يفسح له الطريق إلى ردهة كبيرة ذات سقف منخفض ، توفرت فيها وسائل الراحة وبها مدفأة تندلع فيها النيران ، وصفت بها موائد كبيرة من خشب البلوط.

ـ سوف أرى ، هل تفضل الأنتظار هنا ، بجوار النار ياسيدى ، أم تؤثر أضئ لك النور فى غرفة الطعام .

رد المحامى عليه قائلاً : لاداعى لذلك سأنتظر هنا .

واقترب من المدفأة ، واعتمد عليها بمرفقه . كانت هذه الردهة التى وقف فيها وحده مثار اعجاب صديقه الدكتور وزهوه واعجاب أترسون نفسه ، ولم يكن هذا الأخير يحجم عن التحدث عنها مع أصدقائه ويقول إنها أجمل غرفة فى لندن كلها . ولكنه فى هذه الليلة بالذات أحس برعشة تسرى فى بدنه ، فإن وجه هايد ألح عليه ، وأحس (وهو احساس غريب بالنسبة له) بالشبع من الحياة والاشمئزاز منها فى نفس الوقت . ومن عمق اكتئابه الذهنى اتخذت الانعكاسات الراقصه على خشب الموائد المصقول أشكالاً كئيبه ، وأحس بالخجل وهو يشعر بالارتياح عندما عاد بوك وأخبره أن الدكتور جيكل بالخارج فقال له :

ـ قل لى يابول ، اننى رأيت مستر هايد يدخل من باب قاعة التشريح القديمة ، فهل هذا الأمر سليم فى غياب الدكتور جيكل .

أجابه الخادم :

ـ سليم تماماً يا مستر أترسون ، فان مع مستر هايد مفتاحا .

قال الآخر فى تفكير :

- يبدو أن سيدك يولى هذا الرجل ثقة كبيرة .

اجاب بول :

هو ذلك يا سيدى . انه يوليه ثقة كبيرة فى الواقع ، وقد أمرنا السيد بان نمتثل لأوامره .

سأله أترسون :

- لا أظن انك التقيت قط بمستر هايد .

أجاب رئيس الخدم :

- أوه ، كلا يا سيدى ، فهو لا يتناول العشاء هنا أبدا . بل أننى لا أراه أبدا فى هذه الناحية من البيت ، فهو يدخل ويخرج فى أغلب الأوقات عن طريق المعمل .

- حسنا . طابت ليلتك يا بول .

- وليلتك يا مستر أترسون .

وعاد المحامى الى بيته منقبض الصدر ، وراح يقول لنفسه :

- أخشى أن يكون هذا المسكين هنرى جيكل قد جر على نفسه المتاعب وأن يكون فى موقف سيىء . لقد كان شبابه عاصفا . صحيح أنه مر على ذلك وقت طويل ، ولكن عدالة الله لا تعرف لها قاعدة ولا حدودا . آه ، نعم ، لا ريب أن الأمر كذلك ... ربما كان شبح خطيئة قديمة أو عار خفى ... العقاب الذى يأتى على غير انتظار بعد مرور سنين من الاثم ، وبعد أن نسيته الذاكرة ، وانزعج المحامي من تأملاته ، وفكر فى ماضيه هو بالذات ، باحثا ومنقبا فى كل ركن من أركان ذاكرته ، مخافه أن يأتى يـوم يخرج فيه مـــن أوزاره فجأة الى النور كما لو يخرج من صندوق الأعاجيب . كان ماضيه بريئاً نقياً وقليل من الناس يمكن أن يقرأوا صفحات حياتهم فى شئ من الخوف

ومع ذلك فقد اثقله ضميره ، وأحس بالخجل من كل الأعمال التى ارتكبها ، وبالارتياح ازاء كل الأعمال التى تجنبها ، بعد أن أوشك على اقترافها . وعاد بذلك إلى موضوعه الأول ، ورأى بريقاً من الأمل وحدث نفسه قائلا :

أن هذا السيد هايد ، إذا عرفناه بطريقة أفضل لابد أن تكون له أسراره الخاصة .. أسرار سوداء إذا جاز لنا القول . أسرار تكون أسوأ اسرار الدكتور جيكل بجوارها ظاهرة كالنهار ، ولايمكن للأمور أن تستمر هكذا . فإن الدم يتجمد فى عروقى حين أفكر فى أن هذا الرجل يتسلل كاللص بجوار فراش هنرى ..مسكين هنرى .. أية غفوة يمكنه الحصول عليها ؟ وأى خطر من هذا الهايد إذا اشتبه في وجود الوصية ؟.. أنه لن يهدأ له بال حتى يرثه . نعم يجب أن أعمل على إفساد خططه ...

وعاد يقول :

ـ نعم . يجب أن أفعل ذلك ، إذا أراد جيكل أن يدعنى أتصرف .

فقد راحت نصوص الوصية الغريبة تمر بذهنه واضحة غاية الوضوح ؟

* * *

الفصل الثالث

هدوء الدكتور جيكل

مر أسبوعان ، وشاءت الصدف السعيدة أن يدعو الطبيب خمسة أو ستة من زملائه لتناول العشاء ، وكلهم من خيرة أصدقائه ، كان يحلو له أن يدعوهم مابين وقت وآخر حيث يتناولون أشهى الأطعمة ، ويتسامرون حتي وقت متأخر من الليل وعادة مايكون مستر أترسون من بين هؤلاء الأصدقاء ، وقد بقى بعد انصراف الجميع ، ولم يكن هذا بالأمر الجديد منه ، وكان الطبيب قد اعتاد منه على ذلك فقد كان يميل إلى المحامى ويشعر نحوه بمودة حقيقية رغم صرامته .

والدكتور جيكل يخطو نحو الخمسين وينم وجهه الهادئ على شئ من الذكاء والطيبة وبدأه المحامى بقوله :

ـ بقيت لأننى شعرت بالحاجة إلي الحديث معك على حدة ياجيكل هل تتذكر وصيتك ؟

والملاحظ الدقيق كان يتبين نفور الطبيب من هذا الموضوع ، ولكنه تظاهر بعدم الاكتراث وقال :

ـ أى عزيزى أترسون ، لاحظ لك أبداً معى .. لم أر أبداً شخصاً شديد الانزعاج بخصوص وصيتى مثلك ، وربما ايضاً ذلك المتحزلق لانيون بما يدعوه طريقتى العلمية . نعم ، نعم . هذا مفهوم . أنه رجل ممتاز ، وفى نيتى أن أراه دائماً . ولكن هذا لايمنعه من أن يكون متحزلقاً جهولاً لم يثير أحد أبداً خيبة أملى كما فعل لانيون .

قال أترسون الصارم رافضاً أن يتبعه فى هذا المجال :

ـ ولكنك تعرف أننى لم أرض عن هذا الأمر ابداً .

قال الدكتور فى شئ من الحيرة :

ـ وصيتي .. طبعاً ، طبعاً .. أنني أعلم ، فقد سبق أن صرحت لي بذلك .

عاد المحامي يقول :

ـ حسنا . أكرر لك قولي هذا مرة أخرى ، فقد عرفت شيئاً بخصوص ذلك المدعو هايد .

اكفهر وجه الطبيب المتهالك ، وعلاه الوجوم واكتأبت عيناه ، وقال :

ـ لاأريد أن أسمع المزيد . وقد اتفقنا على ألا نطرق الموضوع أبداً .

قال أثرسون في إصرار :

ـ ولكن ماعرفته فظيع .

أجاب الطبيب في شئ من النفور :

ـ هذا لايغير شيئا .. أنت لاتفهم موقفي .. انني في موقف صعب ياأثرسون . وهو موقف شاذ .. كل الشذوذ .. من تلك المواقف التي لايمكن علاجها بالكلام .

عاد أثرسون يقول :

ـ أنت تعرفني ياجيكل . أنا صديق يمكن الوثوق به والأعتماد عليه يمكنك أن تسر إلى بكل شئ ، واذكر لك أنني أستطيع إنقاذك من هذا الموقف .

قال الدكتور :

ـ جميل مثل هذا ياعزيزي أثرسون .. جميل جداً . ولا أجد من الكلمات مايمكنني من التعبير عن شكري لك . أنني أثق بك كل الثقة ، وانني لاأخفي اليك بمكنون قلبي طواعية اكثر من أي شخص آخر اذا كان لا يزال الخيار .ولكن صدقني . ليس الأمر كما تتصور . وليس يمثل هذه الخطورة . ولكي يستريح ذهنك سأقول لك شيئا . انني أستطيع التخلص من مستر هايد في أية لحظة أريد . وعلى هذا دعني أشد على يدك

واننى اشكرك مرة أخرى .. ولكن لى كلمة أخيرة يا أترسون ، وهى كلمة لن تشعر ازاءها بأى سوء ، وأنا واثق من ذلك ... هذه مسألة خاصة وأرجوك أن لا تشغل نفسك بها .

بقى أترسون يحدق من فى النار وهو يفكر لحظة ثم قال أخيرا وهو ينهض واقفا :

- أنا مقتنع بأنك على حق تماما .

وعاد الطبيب يقول :

- حسنا . الآن وقد طرقنا هذا الموضوع للمرة الأخير ، كما أتعشم ، هناك نقطة أود ان تفهمها . اننى اهتم فعلا بهذا المسكين هايد كل الاهتمام . وأنا اعرف انك رأيته . وقد أخبرنى هو بذلك ، وأخشى أن يكون قد عاملك بغلظة ، ولكننى أذكر لك اننى اهتم بهذا الشاب اهتماما كبيرا واذا حدث واختفيت أنايا أثرسون فإننى أريد أن تعدنى بمساندته وبالمحافظة على حقوقه ومصالحه . وماأظنك تحجم عن ذلك لو انك عرفت كل شئ وأن هذا ليزيح عن كاهلى حملاً ثقيلاً ، إذا أردت أن تعدنى حقاً

أجابة المحامى :

ـ ولكننى لا أستطيع أن أخفى عنك أننى لاأشعر نحوه بأى ميل .

قال جيكل فى إصرار وهو يضع يده على ذراعه :

ـ لاأطلب منك أن تفعل هذا . أننى لا أسألك شيئا يبعد عن الشرعية .واطلب منك فحسب أن تساعده ، وفاء لى أثناء غيبابى .

لم يسع أثرسون إلاأن يتنهد ويقول :

ـ ليكن . أننى أعدك .

* * *

الفصل الرابع

مقتل سير دانفرس كاريو

بعد نحو عام وفى شهر أكتوبر ، وقعت جريمة قتل بشعة ، وزاد من بشاعتها مكانة القتيل الرفيعة ، وأهاجت لندن . والتفاصيل المعروفة وجيزة ومذهلة فى آن واحد ، فقد كانت إحدى الخادمات بمفردها فى بيت كائن بجوار نهر التايمز ، وصعدت لكى تنام فى نحو الساعة الحادية عشرة . ورغم الضباب الذي لفت المدينة فى ثناياه ، فقد ظلت السماء صافية ردحاً كبيراً من الليل . وكان القمر بدراً فبدد ظلمات الشارع شيئا ما . ولاريب أن الفتاة كانت فى حالة رومانسية لأنها لم تأو إلى فراشها على الفور ، وانما جلست أمام النافذة وغرقت فى الأحلام . وقد قالت فيما بعد ، وهى تذرف الدموع أنها لم تشعر أبداً بالسلام والأمان مع البشرية كما شعرت فى ذلك اليوم .

ولكنها لم تؤمن بطيبة البشر على كل حال ، كل الايمان . وفيما هى جالسة مكانها ،وقد استغرقت فى أحلامها رأت رجلاً مسناً ووقوراً وخط الشيب شعره قادماً من آخر الشارع ، ورجلاً آخر قصير القامة لم يلفت نظرها فى بادئ الأمر مقبلاً للقائه ، وعندما اقترب كل منهما من الآخر . وأصبح فى مقدورهما التخاطب ، وهو الأمر الذى حدث تحت نافذة الفتاة بالذات ، حيا المسن الآخر مخاطبا إياه بكل أدب . ولاريب أن موضوع طلبه لم يكن له أهمية كبيرة طبقاً لحركة يده ، وخيل إلى الفتاة أنه وسأل الآخر عن الطريق ، ولكن ، بينما كان يتكلم أضاء القمر وجهه ، وطاب للفتاة أن تتأمله ، لأن ملامحه كانت تنطبق بدماثة الخلق ، وحسن الطباع . وتدل على رفعة شأنه وعلو مكانته . ثم أولت اهتمامها للآخر ودهشت إذ عرفت فيه رجلاً يدعى مستر هايد ، كان قد أقبل ذات مرة لزيارة سيدها ، وأحست نحوه بنفور شديد . كان يمسك فى يده عصا غليظة ، وهو يحركها فى يده ، ولكنه لم يرد بكلمة واحدة على الرجل ، وبدا أنه . يستمع إليه فى صبر مكبوت . بيد أنه لم يلبث أن تملكه الغضب فجأة وراح يضرب

الأرض بقدمه ويلوح بعصاه . خلاصة القول ، وعلى حد الفتاة ، كان تصرفه تصرف رجل مجنون .

وذهل الجنتلمان المسن ، وأحس كأنه أهين ، وارتد خطوة إلي الوراء . وما كاد يفعل حتى فقد مستر هايد هدوءه تماماً وضربه بعصاه ، وطرحه أرضاً . وفى نفس اللحظة ، وفى غضب جنونى راح يطأ ضحيته بقدميه فى شراسة ويوسعه ضرباً بعصاه بحيث أن الفتاة سمعت طقطقه صادرة من عظام الرجل ، ورأت جسده يرتفع عن الأرض شيئاً ما ثم يسكن شعرت بالرعب الشديد ازاء هذا المنظر وفقدت رشدها .

وكانت الساعة قد بلغت الثانية عندما عادت الفتاة إلى وعيها فأسرعت وابلغت البوليس . ولكن القاتل كان قد أختفى منذ وقت طويل . وكان القتيل لايزال مكانه فى الشارع وقد أصبح جثة هامدة . أما العصا ، سلاح الجريمة فقد تحطمت إلى جزءين رغم أنها من خشب سميك وغليظ ، وتدحرج جزء منها إلي المستنقع القريب ، فى حين بقى الجزء الآخر فى يد القاتل دون ريب . وعثروا مع القتيل على ساعة ذهبية ، ومحفظة محشوة بأوراق النقد ، ولكن لم تكن معه أية أوراق أخرى تدل على شخصيته ، فيما عدا مظروف مغلق عليه طابع بريد ، كان الرجل ماضياً دون شك لالقائه فى صندوق الخطابات وعليه اسم وعنوان مستر أترسون .

وسلمت الرسالة للمحامى فى وقت مبكر من الصباح ، وكان لم يفارق فراشه بعد . وما أن وقع عليها نظرة وسمع بالحادث حتى اتخذت ملامحه طابع الجد وقال :

ـ لاأستطيع أن أقول كلمة واحدة مالم أر الجثة لعل للأمر أهمية كبيرة . أرجو أن تنتظروا حتى أرتدي ثيابى .

وتناول طعامه مسرعاً دون أن يتخلى عن هدوئه ووقاره . ثم مضى إلي مركز البوليس حيث نقلت الجثة ، وما كاد يراها حتى هز رأسه وقال :

ـ نعم . اننى أعرفه .. يؤسفنى أن أخبركم أنها جثة سير (انفرس كاديو) .

صاح القوميسير مرتاعاً :

ـ ياإلهى ! .. هل هذا ممكن ؟

ولكن لم يلبث أن ومضت عيناه وأردف :

ـ سوف تثير هذه الجريمة ضجة كبيرة ، ولعل فى استطاعتك أن تساعدنى فى العثور على القاتل .

وذكر له فى إيجاز القصة التى روتها الفتاة . وعرض عليه العصا المكسورة أرهف مستر أترسون إذنيه عند سماعه اسم مستر هايد . ولكنه عندما رأى العصا لم يعد لديه أدنى شك ، فعلى الرغم من أنها كانت مكسورة وتبدو أنها مهشمه بصورة فظيعة فقد عرف فيها عصا كان هو نفسه قد أهداها لهنرى جيكل قبل ذلك بسنوات . وقال يسأل :

ـ هذا المستر هايد ؟.. أهو رجل قصير القامة ؟

أجاب القوميسير :

ـ هو قصير القامة حقاً وبشكل ملحوظ ، وهو فوق ذلك شرس الأخلاق كما تقول الفتاة .

فكر أترسون لحظة ثم رفع رأسه وقال :

ـ إذا أردت أن تأتى معى فى عربتى فسوف أمضى بك إلى بيته .

وكانت الساعة قد أوشكت عندئذ على التاسعة صباحاً وكانت سحابة من الضباب تغلف المدينة . وكانت عبارة عن غلالة كبيرة بنية اللون ، تغطى صفحة الماد ، وكانت الريح تزأر وتعصف محاولة أن تهزم سحب الضباب ، وكلما انعطفت العربة من شارع

إلي آخر ، كان مستر أترسون يرى عدداً غريباً من الألوان والأصباغ الشفقية تتابع ، فقد كان الجو معتماً كما لو كان الليل قد هبط ، وهناك كانت غلالة كثيفة حمراء وباهتة أشبه بوميض الحريق ، وفى شارع ثالث ، كان الضباب ينقشع تماماً لمدة لحظات خاطفة ، ويظهر نور النهار بين الظلالات القطنية . بدا حي سوهو الحزن تحت هذه المناظر المتغيرة بشوارعه الموحلة وفوانيسه التى لم تطفأ أنوارها بعد . أو التي أضيئت من جديد لمكافحة الظلام العائد ، بدا في عينى المحامى كما لو كان مستعاراً من عالم الكوابيس .. كانت أفكاره شديدة الكآبة .

وعندما كان ينظر إلى زميلة فى العربة ، كان يشعر بذلك الخوف الغريزى الذى يحس به حتى أشرف الناس نحو ممثلى العدالة .

وإذ توقفت العربة أمام العنوان المشار إليه . تبدد الضباب قليلاً كاشفاً عن شارع قذر ، وحانة شعبية ومطعم فرنسى من الدرجة الثالثة منخفض السقف ، ومحل من تلك المحلات التي يباع فيها كل صنف بأرخص الأسعار ، وعدد من الأطفال يلبسون خرقاً مهلهلة ويتجمعون على عتبات البيوت ، ونساء من كل الجنسيات يمشين ومفاتيحهن في أيديهن ليتناولن كأس الصباح . وعاد الضباب تقريباً فى نفس اللحظة ، فشمل من جديد تلك المنطقة بظل كئيب حجبها عن العيان تقريباً . كان يقيم في هذه المنطقة مستر هايد المشهور ، وهو رجل كان يجب أن يرث ربع مليون من الجنيهات الاسترلينية .

فتحت الباب امرأة عجوز لها وجه أبيض كالعاج وشعر فضى . كانت ملامحها تنطق بالخبث والرياء . ولكنها كانت تحاول ألا يظهر عليها شئ من ذلك . كان البيت هو بيت مستر هايد فعلاً ، ولكنه كان غائباً فى هذه اللحظة .

عاد فى وقت متأخر من الليل ولكنه لم يلبث أن خرج بعد أقل من ساعة ، ولم يكن هذا بالأمر المستغرب لأنه كان رجلاً غريب الأطوار وغامضاً فى تصرفاته وعاداته .

وكان قد مر شهراً تقريباً على آخر مرة رأته فيها قبل أن يعود بالأمس .

قال المحامى :

ـ هذا حسن . دعينا نرى غرفته إذن .

وأردف يقول عندما رفضت العجوز :

ـ من الأوفق أن أقول لك الآن أن هذا الرجل الذى بصحبتى هو المفتش نيوكومن ، من الادارة العامة للبوليس .

ومضت عينا المرأة على الفور وقالت :

ـ آه هل يواجه مشاكل .. ماذا فعل إذن ؟

تبادل مستر أترسون والمفتش النظر ، ثم قال هذا الأخير :

ـ أنه لايتمتع بسمعة طيبة . والآن ياسيدتى الكريمة ، دعينا نلقى ، أنا وهذا السيد ، نظرة على غرفته .

كان المنزل كبيراً ، متسع الأرجاء ، تقيم المرأة فيه وحدها ، ولايشغل مستر هايد منه غير غرفتين ، فرشها فى بذخ يدل على ذوق سليم . وكان هناك دولاب مملوء بزجاجات النبيذ ، والأطباق نفسها من الفضة والبياضات من نوع ثمين ، ولصق فى الحائط لوحة فنية نفيسة ، خطر لأترسون أنها هدية من هنرى چيكل ، فقد كان المعروف عن هذا الأخير أنه يحب الفن ويقدسه . والسجاجيد ناعمة الملمس ، متجانسة الألوان . وكان منظر الغرفتين فى ذلك اليوم بالذات يدل على أن يد العبث امتدت إليهما ـ منذ قليل ، وبصورة تدل على العجلة والاسراع فالثياب جيوبها مقلوبة ، والمدخنة تحتوى على كومة من الرماد الأسمر تدل على أن كمية كبيرة من الأوراق قد أحرقت حديثاً . واكتشفت المفتش وهو يقلبها كعباً لدفتر شيكات أبيض لم تأت النيران عليه بعد . وكان الجزء الثانى من العصا موجوداً خلف الباب ، وإذا كانت تلك العصا

قد أيدت شكوك المفتش فقد زاد يقينه وارتياحه حين أخبره البنك أن للقاتل رصيداً يبلغ بضعة آلاف من الجنيهات . وقال يخاطب أثرسون :

ـ يمكنك أن تصدقني ياسيدى .. أنه قد أصبح الآن فى قبضة يدى . لاريب أنه فقد رأسه ، وإلا ماترك خلفه هذه العصا ولحرص على إتلاف دفتر الشيكات تماماً . إن المال بالنسبة له هو عصب الحياة ، لم يعد هناك ما نفعله غير أن ننتظر عودته إلي البنك وأن نشهر أوصافه .

ولكن الأمر لم يكن بمثل هذه السهولة ، كما كان يتصور ، فلم يكن هناك من يعرف مستر هايد غير عدد قليل جداً حتى رئيس الخدم لم يره إلا مرتين . ولم يعرف له أهل أو أقارب . واختلف الناس فى وصفه كما هى العادة فى مثل هذه الحالات ، ولم يتفقوا إلا على نقطة واحدة وهى أنه كان في مظهره شئ غريب غامض ، واجمعوا كلهم على أنه كان يبدو كما لو أن فيه شيئاً زائفاً لايعرفون كنهه !!

* * *

الفصل الخامس

قصة الخطاب

كان الوقت متأخراً بعد ظهر ذلك اليوم حين طرق مستر أترسون باب الدكتور جيكل . واستقبله بول على الفور وتقدمه عبر المطابخ إلي فناء كبير كان فيما سبق حديقة الدار ، وسار به حتي ذلك الجناح الذى يدعونه بالمعمل أو قاعة التشريح . وكان الدكتور قد اشترى البيت من ورثة جراح شهير . ولما كان هو نفسه مهتماً بالكيمياء أكثر من اهتمامه بعلم التشريح ، فقد غير الغرض من الجناح الكائن فى آخر الحديقة . وكانت هذه أول مرة يدخل فيها المحامى هذا الجزء من مسكن صديقه ، وراح يتأمل فى فضول الجدران القديمة التى لاتتخللها أية نوافذ . وارتسمت فى عينيه نظرات حزينة وهو يتأمل المدرج الذى كان يغص بالطلبة فيما سبق ، والذى ازدحم الآن بمجموعة كبيرة من القنانى والفوازيز والأدوات الكيمائية ، تحت الضوء الخافت الذي يتسرب من القبة التى يغشوها الضباب . وفى الناحية الأخرى درجات السلم المؤدية إلى باب يكسوه قماش من الصوف ولج منه مستر اترسون إلى حجرة الطبيب ، وهى غرفة فسيحة مزدانة برفوف تغطيها الألواح الزجاجية ، ومفروشة فى بذخ ، وبها مرآة كبيرة متحركة ، ومنضدة عمل ، وبها ثلاث نوافذ مغيرة مزودة بقضبان حديدية . وكانت النار تضطرم فى المدفأة ، وعلي حافة المدفأة نفسها مصباح مضاء ، لأن الضباب كان منتشراً بصورة كبيرة داخل البيت . وكان الدكتور جيكل جالساً بجوار النيران ، ويبدو مريضاً جداً . ولم يخف للقاء زائرة ، وانما بسط له يده مرحباً فى صوت متغير .

وقال له أترسون بمجرد أن انصرف بول :

ـ حسنا . هل علمت بالنبأ ؟

ارتجفت الطبيب وأجاب :

ـ سمعت الناس يصيحون ويتناقلون الخبر ، وأنا فى غرفة الطعام .

قال المحامى :

ـ كلمة واحدة .. كان كاريو عميلاً لى ، وأنت الآخر عميلى . وأريد أن أعرف ماذا يجب أن أفعل .. لعلك لست من الجنون بحيث تخبئ هذا الشاب ؟

صاح الطبيب :

ـ الله شهيد على ماأقول ياأترسون . نعم ، الله شهيد على ماأقول . اقسم لك بشرفي أن كل شئ فى هذه الدنيا قد انتهى بينه وبينى .. انتهى إلي غير رجعة ، على أنه ليس بحاجة إلى مساعدتى ، فأنت لا تعرفه كما أعرفه أنا .. أنه فى أمان .. فى أمان تام .. تذكر كلماتى هذه .. لن يسمع أحد شيئا عنه بعد اليوم .

كان المحامى يصغى إليه فى شئ من القلق ، فإن تصرف صديقه المحموم لم يــرق له ، وأجاب :

ـ يبدو لى أنك متأكد مما تقول كل التأكيد . وأتمنى لمصلحتك ألا تكون مخطئاً ، لأنه إذا كانت هناك محاكمة فقد يشار فيها إلى اسمك .

أجاب هيكل :

ـ أننى واثق فيه كل الثقة ، وثقتى هذه تستند إلى أسباب لست فى حــل من ذكرها .لأى أحد . ولكن هناك نقطة أحب أن استشيرك فيها .. أننى .. أننى تسلمت خطاباً ، وأننى اتساءل إذا لم يكن ينبغى أن اطلع البوليس عليه .

اننى أفوض أمرى إليك ياأترسون ، فأنا أعرف عنك أنك رجل حكيم ، ولى فيك ثقة كبيرة .

سأله المحامى :

ـ لعلك تخشى أن يساعد هذا الخطاب فى الاهتداء إليه ؟

أجابة الآخر :

ـ كـلا . لا أستطيع القول بأننى أهتم بمصير هايد ، فكل شئ بينى وبينه قـد انتهى ، وانما كنت أفكر فى سمعتى الشخصية التى عرضتها هذه القصة البغيضة للخطر شيئاً ما .

فكر أثرسون بضع لحظات . أدهشته أنانية صديقة وطمأنته في وقت واحد . وقال أخيراً :

ـ حسناً . أرنى هذا الخطاب .

كان الخطاب محرراً بخط غريب مستقيم وموقع باسم" ادوارد هايد" جاء فيه فى كلمات موجزة أن الدكتور جيكل الذى أولاه كل رعايته ، واحاطه بكل عنايته والذى قابل هو هذه الرعاية وتلك العناية بالاساءة إليه بأعماله لايجب أن يشعر بأى قلق فيما يتعلق بسلامته لأنه يملك وسائل الهرب ويثق فى فعاليتها كل الثقة . وراق هذا الخطاب للمحامى بعض الشئ ، لأنه ألقي على هذه العلاقة ضوءاً فى صالح صديقة على غير ماكان يظن ، ولا تمسه للشكوك والظنون التى سبق أن أحس بها من نحوه . وسأله :

ـ هل معك المظروف ؟

أجابه الدكتور جيكل :

ـ اننى أحرقته قبل أن أفطن إلى ماأفعل . ولكن لم يكن عليه خاتم بريد ، فقد سلم باليد .

قال أثرسون :

ـ هل أستطيع أن أحتفظ بهذه الورقة حتى الصباح ؟... أن الليل خير مرشد



أجابة الآخر :

ـ انني أضع مصيري بيني يديك ، فأنني فقدت كل ثقة في نفسي .

قال أثرسون :

ـ حسنا . سوف أفكر . ولكن كلمة أخيرة الآن .. هل هو هايد الذى أملي عليك نصوص الوصية في حالة وفاتك ؟

بدا كان عارض ضعف ملك الطبيب ، وجز على أسنانه ، وأودا بالايجاب ، فقال أثرسون :

ـ كنت واثقاً من ذلك . كان ينوى أن يقتلك . ولكنك نجوت ياجيكل .

أجابة الطبيب :

ـ بل أكثر من هذا .. انني تلقنت درساً .. رحماك ياإلهى !.. وأى درس ياأثرسون !

وبقى لحظة دافنا وجهه بين يديه .

وقبل أن يغادر المحامى البيت ، توقف لحظة مع بول وتبادل معه بضع كلمات ، ثم سأله قائلاً :

ـ وبهذه المناسبة .. جاء اليوم خطاب ، فمن الذى أتى به ؟

وكان رد بول قاطعاً فإن الساعى وحده هو الذى أقبل ببعض النشرات الطبية ، ولم يأت أحد غيره .

أحس المحامى وهو ينصرف بخوفه يزداد لدى سماعه هذا النبأ . كان من الواضح أن الخطاب جاء من باب المعمل ، بل لعله حرر في المعمل نفسه ، وفى هذه الحالة فإنه يجب أن يفكر فى الأمر بطريقة مختلفة وألا يستخدمه فى حذر شديد . والتقى بباعة

الصحف فى طريقة وهم يصيحون ، " الملحق الأخير . جريمة بشعة .. مصرع عضو بمجلس النواب" وكانت هذه الكلمات بالنسبة له كتأبين صديق . ولم يؤلمه إلا أن تتعرض سمعة عميل آخر بالظنون والشبهات بسبب هذه الجريمة . وعلى كل فقد كان القرار الذى يجب أن يتخذه صعباً على الرغم من يقينه العادى ، وأحس شيئاً فشيئاً بحاجبته إلى من ينصحه ، ولم يكن بمقدروه الحصول على هذه النصيحة مباشرة ، ولكنه علل نفسه بأنه قد يستطيع الحصول عليها بحيلة ما .

وبعد بضع دقائق كان في مكتبة ، بجوار النافذة . وفى الناحية الأخرى منها كان يجلس كاتبه الرئيس ، مستر جيست ، وبينهما ، وعلى مسافة محسوبة من النار زجاجة من النبيذ المعتق ، بقيت مدة طويلة فى القبو ، بعيداً عن أشعة الشمس . وكان الضباب لايزال منتشراً ، باسطاً ظلاله على المدينة ، والفوانيس تلمع خلاله كاليواقيت ، ورغم ذلك فقد كانت مواكب الحياة العادية تدور عجلاتها دون انقطاع فى الشوارع الكبيرة ، بين عصف الرياح وزئيرها ، وشيئا فشيئا لانت أسارير المحامى ، ولم يكن يثق بأحد وثوقة فى كاتبه ، وكان يطلعه على أدق أسراره . وكان جيست قد ذهب مراراً لزيارة الدكتور بداعى العمل ، وكان يعرف بول. ولاريب أنه عرف بوجود مستر هايد فى البيت واستنتج من ذلك الكثير . أفليس من الأوفق عندئذ أن يطلعه على الخطاب وأن يسأله رأيه فى هذا السر ، خاصة وأن جيست يعتبر هاوياً وخبيراً فى الخطوط . وبهذا سيعتبر الأمر عادياً ويتملكه الغرور. ثم أنه فوق ذلك خير ناصح ، وهو لن يقرأ خطاباً كهذا من غير أن يعلق عليه ، وفى استطاعة مستر أثرسون أن يدبر أموره بناء على هذا التعليق .

وقال المحامى :

ـ أن مصرع سير دانفرس لأمر مفجع ومحزن للغاية .

أجاب جيست :

ـ نعم ياسيدى . هذا صحيح . وقد أثار الرأى العام كثيراً . لاريب أن القاتل رجل مجنون .

قال أثرسون :

ـ أود أن أعرف رأيك فى هذا الموضوع . أن معى هنا مستنداً بخط يده ، وليكن هذا فيما بيننا ، لأننى لا أدرى بعد مايجب أن أصنع . أنها قضية بغيضة على كل حال . ولكن إليك الأمر . أنه فى دائرة اختصاصك تماماً ...

خطاب بخط القاتل .

ومضت عينا جيست ، وأخذ مكانه أمام المكتب على الفور لكى يفحص الخطاب ، وقال :

ـ كلا ياسيدى . ليس هذا بخط رجل مجنون .. ولكنه خط مزيف .

ـ مثل كاتبه إذن .. لأنه هو الآخر مزيف .

وفى هذه اللحظة بالذات دخل الخادم ومعه رسالة ، وقال الكاتب يسأل :

ـ هل هى من الدكتور جيكل ياسيدى ؟ خيل لى أننى عرفت خطه . لاريب . أنها رسالة خاصة يامستر أثرسون .

ـ بل مجرد دعوة للعشاء . لماذا ؟ .. هل تريد أن تراها ؟

ـ لاأكثر من لحظة واحدة .. أشكرك ياسيدى .

ووضع الكاتب الرسالتين جنبا إلى جنب ، وراح يقارن بين الخطين فى اهتمام كبير . وأخيراً قال وهو يعيدها إلى المحامى :

ـ شكراً ياسيدى . هذا خط من أهم الخطوط .

ساد صمت راح مستر أثرسون يقاوم نفسه خلاله ثم قال يسأله فجأة :

ـ قل لى ياجيست ، لماذا قارنت بينهما ؟

أجاب الموظف :

ـ حسنا ياسيدى .. ذلك لأن بهما شبهاً غريباً .. فإن للخطين خصائص متشابهة ، ولا يختلفان إلا فى الميل والأنحناء .

قال أترسون :

ـ هذا غريب .

وقال جيست :

ـ هو غريب حقا كما تقول .

وقال المحامى :

ـ أظن إن من الأوفق ألا أتكلم عن هذا الخطاب ، أليس كذلك ؟

أجاب الكاتب :

– أجل يا سيدى ، واننى أفهم .

ولكن ما أن وجد مستر أترسون نفسه بمفرده فى تلك الليلة حتى وضع الخطاب فى خزانته حيث بقى بها فيما بعد ، وفكر يقول :

– لقد أصبح جيكل مزيفاً لكى ينقذ مجرماً .

وأحس بقشعريرة باردة تسرى فى عروقه .

* * *

الفصل السادس

ملاحظة عارضة للدكتور لانيون

ومر الوقت ، رصدت آلاف الجنيهات مكافأة لمن يعثر على مستر هايد لأن موت سير دانفرس كاريو كان مصيبة عامة ، ولكن مستر هايد لم يظهر له أثر ، وتوارى تماماً عن أبحاث رجال البوليس كما لو أنه لم يكن له وجود إطلاقاً . وقد كشف ماضيه على كل حال عن حقائق كثيرة غير مشرفة ، فقد أتضح أن هذا الرجل يتسم بالقسوة الوحشية ، ولايعرف قلبه معنى للرحمة أو الشفقة ، وأنه كان يحيا حياة فسق وفجور ، ويخالط قوماً مشبوهين ، ويثير الضغائن والأحقاد والخلافات حوله . بيد أن أحداً لم يعرف شيئاً عن أعماله أو أحواله المالية ، فمنذ اللحظة التى غادر فيها حى سوهو فى صباح الجريمة اختفى تماماً .

وبدأ مستر أترسون من ناحيته ، ومع مرور الوقت يتمالك زمام نفسه شيئاً فشيئاً . وينسى ماألم به من خوف وجزع ، واسترد هدوءه ورزانته . وكان من رأيه أن موت سير دانفرس قد عوض تعويضاً كبيراً اختفاء مستر هايد ، فمنذ أن اختفت سطوته البشعة وقد بدأت حياة جديدة بالنسبة لمستر جيكل ، فقد خرج عن عزلته ، وراح يزور أصدقاءه من جديد ، وفتح بيته لضيوفه كسابق العهد به . وإذا كان قد عرف قبل ذلك بحبه للخير فقد اشتهر بعد ذلك بورعه وتقواه . كان نشيطاً ، كثير الخروج ، يتدفق صحة وعافية . وكان وجهه نضراً صفوة القول ، عاش الدكتور جيكل مايقرب من شهرين فى سلام وأمان .

وفى الثامن من يناير ، تناول أترسون العشاء مع الدكتور ، وقلة من أصدقائه . وكان الدكتور لانيون من بين هؤلاء الأصدقاء . وكان مضيفهم ينقل بصره من الواحد إلى الآخر ، وفى مودة كسابق العهد به عندما كانوا لايفترقون .

بعضهم عن بعض . ولكن فى الثانى عشر والرابع عشر من يناير صد الباب فى وجه

أثرسون ، وقال له بول أن الطبيب قد أغلق الباب على نفسه ، ولايريد أن يرى أحداً . قام أثرسون بمحاولة جديدة فى الخامس عشر من نفس الشهر ، ولكنه لقى نفس الرفض . ولما كان قد اعتاد فى الشهرين الأخيرين على رؤية صديقه كل يوم تقريباً فإن هذه الصورة إلى الوحدة والاعتكاف عن الناس أثقلتا عليه . وفى الليلة التالية دعا جيست لتناول العشاء معه ، وفى الليلة السادسة مضى إلى بيت الدكتور لانيون .

وهناك على الأقل لم يصد هذا الأخير بابه عنه ، ولكنه عندما دخل دهش للتغيير الذى طرأ على سحنة الدكتور . فقد كان حكم الموت مكتوباً على وجهه چيكل بكل الحروف .. تحولت نضارة الرجل إلي صفرة ، وترهلت قسماته وازداد صلعه وظهرت عليه أعراض الشيخوخة فجأة . ولكن الذى لفت نظر المحامى اكثر من أى شئ هوتلك الأمارات التى أن دلت على شئ فإنما على التدهور السريع والضعف القريب ، وعلى شئ فى عينيه يدل على خوف وذعر عميق . كان من غير المعقول تماما أن يخاف الدكتور الموت ، ومع ذلك فقد كان هذا مافهمه أثرسون .

حدث نفسه قائلاً : نعم ، أنه كطبيب لابد أنه يعلم بحالته ويعرف أن أيامه أصبحت معدودة . وذلك اليقين يضنيه ويرهقه .

ومع ذلك ، وعندما حدثه أثرسون عن سوء حالته قال لانيون فى ثبات كبير أنه يعلم بأنه مقضى عليه واستطرد :

ـ أننى تلقيت ضربة لن أسترد قواى بعدها . لن يستغرق الأمر أكثر من بضعة أسابيع . ولكن لابأس . لقد كانت الحياة طيبة وكنت أحبها . نعم ياسيدى أعتدت على حبها . وأنه ليدور فى ذهني أننا لو نعلم كل شئ لما كانت لنا رغبة أخرى غير الموت .

قال أثرسون :

ـ أن الدكتور جيكل مريض هو الآخر ، فهل رأيته ؟

تبدلت أسارير لانيون على الفور ، ورفع يدا مضطربة وقال فى صوت قوى ، وغير اكيد :

ـ أننى لاأريد أن أرى الدكتور جيكل بعد اليوم . أو أن أسمع عنه شيئا . اننى قطعت علاقتى بهذا الرجل إلى الأبد ، وأرجو ألا تذكر لى أى شئ عنه وأن تعتبره كما لو كان ميتاً بالنسبة لى .

تلمظ مستر أترسون فى استجابه وقال بعد لحظة طويلة :

ـ ألا أستطيع أن أفعل شيئا ؟ .. أننا ثلاثة أصدقاء قدامى ، ولن نعيش طويلاً لكى نجد صداقات أخرى .

أجاب لانيون :

ـ لاسبيل إلى ذلك .. ويمكنك أن تسأله أنت نفسك !

قال المحامى :

ـ أنه يأبى أن يرانى .

أجابه الآخر :

ـ هذا لايدهشنى . ربما تعلم ذات يوم ، بعد أن أموت ، الأسباب الطيبة والسيئة لهذه القطيعة . ولكننى لاأستطيع أن أقول لك شيئاً الآن. وفى انتظار ذلك ، وإذا أحسست بأنك جدير بأن تجلس وأن تتحدث عن شئ آخر فابق بالله وافعل . إما إذا لم تستطع أن تمنع نفسك من العودة إلى هذا الموضوع اللعين ، فإننى أنا شدك بالله أن تنصرف وتدعنى لأننى لن احتمل ذلك .

وماكاد أترسون يعود إلى بيته حتى كتب لجيكل شاكياً من أنه أقصى عن بيته ويسأله عن سبب اختلافه المؤسف مع لانيون . وفى صباح اليوم التالى جاء رد طويل

مكتوب فى لهجة عنيفة ولكن كلماته تنم عن غموض غريب .

وكل مافهمته منه هو أن الخلاف بين جيكل ولانيون لاعلاج له .

كتب جيكل يقول : اننى لاألوم صديقنا العزيز ، ولكننى أشاركه الرأى ألا يرى أحدنا الآخر بعد اليوم ، ففى نيتى الآن أن أعتزل الناس ، ولا يجب أن يدهشك قولى هذا ، كما أنه لايجب أن تشك أبداً فى صداقتى لك ، إذا ظل بيتى مغلقاً أمامك . دعني أتبع حياتى المظلمة ، فقد جلبت على نفسى عقاباً وخطراً محظوراً على توضيحهما . وإذا كنت قد أذنبت فإننى أتألم بقدر الذنب الذى جنيته . ولم اكن اعتقد أنه يوجد على ظهر الأرض عذاب وصل كهذين اللذين أرزح تحتهما . والشئ الوحيد الذي يمكن أن يخفف مصيرى ياأترسون هو أن تحترم صمتى ...

دهش أترسون لمضمون الخطاب ، خاصة وأن نفوذ هايد البغيض قد اختفى ، وعاد الدكتور إلى أعماله وصداقاته القديمة . وقبل ذلك بثمانية أيام كان المستقبل الباسم الزاهر يعده لشيخوخة سعيدة ومشرقة ، ولكن هاهو فى لحظة واحدة قد تبددت صداقاته ، وضاعفت راحة باله ، وفقد كل افراح حياته ، ومثل هذا التبدل الكامل وغير المتوقع انما يدل على الجنون ، ولكن طبقاً لأقوال لانيون وتصرفاته لابد أن هناك سبباً أشد عمقاً وخفاءً .

وبعد ثمانية أيام مرض لانيون ولم يمر عليه اسبوعان إلا وكان قدمات . وفى ليلة الجنازة أغلق أترسون باب مكتبه على نفسه وجلس أمام مكتبة على ضوء شمعة يجتر أحزانه وأخرج مظروفاً مكتوباً بخط الفقيد ومختوماً وعليه هذه الكلمات "سرى ، خاص بمستر أترسون . وإذا حدث ومات قبلى فليتلف كما هو ،، ويسط المحامى المظروف أمامه وهو يشعر بالخوف من معرفة مضمونه وقال : أننى شيعت اليوم صديقاً عزيزاً إلي مقره الأخير . ومن يدرى ، إذا لم يكلفنى هذا المظروف صديقاً آخر ، ولكنه أقصى مخاوفه رغماً عنه وفضى المظروف ، ووجد بداخله مظروفاً آخر مغلقاً ومختوماً

هو الآخر وعليه هذه الكلمات لايفتح إلا بعد موت أو اختفاء الدكتور هنرى جيكل ."
ولم يصدق أترسون عينيه . نعم ، أن كلمة اختفاد مذكورة هنا تماماً كما هى مذكورة فى الوصية السخيفة التى نسبها منذ وقت طويل لمؤلفها . هنا أيضاً توجد كلمة اختفاء منسوبة إلى هنرى جيكل . ولكن هذه الكلمة تواجدت فى الوصية بسبب وجود السيد ادوارد هايد المشئوم ، ولم تستخدم إلا لغرض واضح وفظيع جداً . أما الآن فهى مكتوبة بخط لانيون ، فى المعنى المراد منها ؟ وتملكه فضول كبير ، وهم بأن يتجاوز مهنته كمحام وأن يفض المظروف ويعرف هذا السر الغامض العويص ، ولكن شرف المهنة والوعد المقطوع لصديقه الراحل فرضا عليه التزامات قهرية ، فأعاد المظروف من جديد إلى خزانته .

وكان من السهل أن يقمع فضوله وأن يتغلب عليه ، ولكن لم يكن من السهل التغاضى عنه . وللقارئ أن يتأكد أنه راح ، ابتداء من ذلك اليوم ، يحاول رؤية صديقة الباقى على قيد الحياة . كان يفكر فيه فى ود وحب . ولكن أفكاره كانت حافلة بالقلق والخوف . ومضى لزيارته ولكنه شعر بالارتياح قليلاً حين صد الباب أمامه ، ولعله فى قراره نفسه آثر أن يتحدث مع بول على عتبة الباب ، فى الهواء الطلق حيث صخب المدينة وعجيبها ومرحها ، بدلاً من أن يستقبله داخل البيت ذلك الذى اعتكف واعتزل العالم بهذه الطريقة الغريبة ولكن بول لم يكن لديه غير أخبار سيئة ، فقد قال أن سيده اعتزل الناس والمجتمع تماماً وأنه يعتكف فى معمله ، حيث يقضى نهاره وليله وهو شارد فى الحزن والكرب ، وأصبح أكثر صمتاً ، وتخلى عن القراءة ، وبدأ مهموماً . واعتاد أترسون عقب ذلك على غرابة هذه الأقوال بحيث قلل من زياراته شيئاً فشيئاً .

* * *

الفصل السابع

حـادث النافذة

فى يوم من أيام الآحاد كان مستر أترسون يقوم بنزهته الاسبوعية بصحبة مستر انفيلد . وحدث أن قادتهما أقدامهما إلى الشارع الضيق من جديد . وعندما وجدا نفسيهما أمام الباب توقفا معا ليتأملاه .

قال انفيلد :

ـ آه . انتهت هذه القصة أخيراً .. لن نر مستر هايد بعد الآن أبداً .

قال أترسون :

ـ أرجو ذلك . ألم أقل لك أننى رأيته ذات مرة وأننى شاركتك احساسك بالنفور منه ؟

قال انفيلد :

ـ هذا احساس طبيعى ، وفيما بيننا لابد أنك حكمت على بالغباء ، لأننى لم أكن أعرف أن هذا الباب هو الباب الخلفي لبيت الدكتور جيكل . وقد اكتشفت ذلك فيما بعد ، بفضلك أنت .

قال أترسون :

ـ اهتديت إلى ذلك أخيراً إذن . ولكن مادام الأمر كذلك فلا شئ يمنعنا من الدخول إلى الحوش وإلقاء نظرة من النوافذ . وأصارحك القول بأننى لست مطمئناً على هذا المسكين جيكل ، ويخيل إلي أن وجود صديق له ، حتى فى الخارج فيه خير كبير له .

كان الوقت حاراً جداً ومشبعاً بالرطوبة فى الحوش والشفق يغطى صفحة السماء فوقه على الرغم من أنه كان يسطع بالشمس الغاربة . ومن النوافذ الثلاث كانت النافذة

الوسطى مفتوحة قليلاً . وقد جلس الدكتور جيكل خلفها . وبدا لأترسون أنه مهموم ومغموم ، كما لو كان أسيراً لايستطيع مبارحة سجنه ، وصاح به يقول :

ـ آه .. أهذا أنت ياجيكل ؟.. أرجو أن تكون فى صحة جيدة .

أجاب الدكتور فى اكتئاب :

ـ أنا مريض .. مريض جداً .. الحمد لله أننى لن أعيش طويلاً .

قال المحامى :

ـ ولكنك تحبس نفسك .. يجب أن تخرج قليلاً لكى تنشط دورتك الدموية ، كما يفعل انفيلد ، وكما أفعل أنا .. أقدم لك ابن عمى مستر انفيلد .. الدكتور جيكل .. هيا ، هيا هيا ... ضع قبعتك وتعال معنا لكى نقوم بجولة .

تنهد الآخر وقال :

ـ ماأكرمك حقاً ! أن هذا ليصيبنى بخير كبير .. ولكن كل .. كل .. هذا محال تماماً . أننى لا أجرؤ . ورغم ذلك فإننى سعيد جداً برؤيتك ياأترسون . يسرنى ذلك كل السرور . كنت أود أن أرحب بك طبعاً أنت ومستر أنفيلد ، ولكن الغرفة فى حالة من الفوضى لاتسمح لى بذلك .

قال المحامى مبتهجاً :

ـ الواقع أنه ليس هناك مايمنعنا من البقاء هنا مكاننا والتحدث معك هكذا .

اجاب الدكتور مبتسماً :

ـ هذا ماكنت موشكا أن أقترحه عليكما بالذات .

ولكنه لم يكد يفرغ من عبارته تلك حتى خبت الابتسامه من وجهه ، وحل محلها تعبير يدل على الخوف وعلى يأس شديد بحيث تجمد الدم فى عروق الرجلين الواقفين



بالخارج . على أنهما لم يلحظا ذلك إلا فى لمحة خاطفة ، لأن النافذة اقفلت على الفور وفى عنف ، ولكن تلك اللحظة الخاطفة كانت كافية ، بحيث استدارا على عقبيهما ، وأسرعا بالخروج من الفناء دون أن ينطقا بكلمة ، وقطعا الطريق وهما صامتان . ولم يتحول مستر أثرسون ونظر إلى صديقة إلا بعد أن بلغا شارعاً كبيراً مجاوراً لايزال ينبض بالحركة .

وكان كل منهما شاحب الوجه ، وقد ارتسم فى عينى كل منهما ذعر شديد.

وقال مستر أثرسون : فليغفر لنا الله ..فليغفر لنا الله .

ولكن مستر انفيلد اكتفى بأن هز رأسه ، وراح يمشى في صمت .

* * *

الفصل الثامن

الليلة الأخيرة

فى إحدى الليالى ، جلس مستر أترسون بجوار النار بعد أن فرغ من تناول عشائه كما هي عادته كل ليلة . وأدهشه أن جاء بول لزيارته ، وصاح به :

ـ رحماك ياإلهى .. ماالذى جاء بك ؟

واستطرد يقول بعد أن تأمله فى اهتمام :

ـ ماذا حدث ؟.. هل الدكتور مريض ؟

أجابه الرجل :

ـ هناك شئ غريب يقع يامستر أترسون .

قال المحامى :

ـ أجلس . هاك كاساً من النبيذ .. هدئ من روعك واذكر لى ماتريد فى وضوح .

أجاب بول :

ـ أنت تعرف ياسيدى أن الدكتور اعتاد الاعتكاف أخيراً . حسناً . لقد حبس نفسه من جديد فى معمله . وهذا العمل منه لايروق لى .. لايروق لى أبداً يامستر أترسون . أؤكد لك أننى خائف .

قال المحامى :

ـ اهدأ ياصديقى ، واذكر لى من أى شئ تخاف .

أجاب بول وقد أصم اذنيه عن السؤال :

ـ منذ أسبوع وأنا خائف ، ولا أستطيع احتمال ذلك .

اكدت سحنة الخادم مايقول إلى حد كبير ، فهو قد تخلى عن رقته ودماثته المعروفين عنه ، وفيما عدا اللحظة التى اعترف فيها بخوفه ، لم يرفع بصره إلى المحامى ، وبقى جالساً ، وكأس النبيذ فى يده ، لم يمسه ، وقد ثبت بصره فى الأرض . وعاد يقول :

ـ لم أعد استطيع احتمال ذلك .

قال المحامى :

ـ آه لا ريب أن لديك سبباً وجيهاً لذلك ، ولابد أن هناك شيئاً غريباً . ولكن حاول أن تذكر لى .

قال بول فى صوت أجش .

ـ أظن أنه ارتكب شيئاً ما ..

صاح المحامى مذعوراً وموشكا على الغضب لهذا القول :

ـ شيئاً ما ؟.. أي شئ ؟.. ومامعنى هذا ؟

أجاب الآخر :

ـ لاأجرؤ على القول ياسيدى . هل لك أن تأتى وتتحقق معى من الأمر بنفسك ؟

كان رد مستر أترسون أن نهض ومضى إلى غرفته حيث أخذ قبعته ومعطفه ، ولكنه دهش وهو يرى مدى الارتياح الذى بدا على محيا الخادم ، ولعله دهش كذلك وهو يراه يضع كأس النبيذ دون أن يمسه .

كانت ليلة من ليالى شهر مارس ، شديدة العصف والبرد والقمر هلالى شاحب وراقد على ظهره ، كما لو أن الريح قلبته ، يلمح ضوؤه تحت غلالة شفاف من السحب السارية والريح تقطع حبل الكلام تقريباً ، وعصفها يصعد الدم إلى الوجوه وبدا كما لو أن

الشوارع قد اقفرت من المارة بخلاف العادة وخيل إلي مستر أثرسون أنه لم ير هذه الناحية من لندن مقفرة هكذا أبداً ، وود على العكس لو أنه لم يشعر أبداً بمثل هذه الرغبة فى أن يرى ويواكب اخوانه من البشر ، لأن ذهنه على الرغم من كل جهده كان يثقله احساس مثير للقلق باستشعار كارثة وشيكة الوقوع . وعندما بلغا المكان كانت الريح قد اشتد صفيرها ، وراحت تثير زوابع من الغبار ، كما راحت أغصان الأشجار العارية تتعارك مع الأبواب . وكان بول طوال الطريق يسير خلف ستراثون بخطوة أو خطوتين ، ولكنه توقف فى وسط الشارع ، ورغم النسمة الباردة خلع قبعته وجفف جبينه بمنديل أحمر اللون أخرجه من جيبه . كان واضحاً أن هذا العرق لم ينشأ عن السير وانما عرقاً سببه قلق فائق لأن وجهه كان مصفراً ، وصوته ، عندما تكلم كان أجش ومتقطعاً .

قال : حسنا ياسيدى . هانحن قد وصلنا ، وأسأل الله ألا تكون قد وقعت كارثة .

قال المحامى : أرجو ذلك .

طرق الخادم بعد ذلك الباب بطريقة خاصة ، فانفتح قليلاً ولكن منعته سلسلة الأمان من أن ينفتح تماماً . وارتفع صوت من الداخل يقول :

ـ أهذا أنت يابول ؟

كان البهو الذى دخلا فيه يسطع بالنور ، كانت هناك نار كبيرة مشتعلة ، تجمع حولها جميع الخدم من رجال ونساء ، كقطع من الخراف . وماأن رأت إحدى الخادمات مستر أثرسون حتى أطلقت زفرة فى شئ من الأنفعال وصاحت تقول :

ـ الحمد لله .. ها هو مستر أثرسون .

واندفعت نحوه كما لو كانت تريد أن تثب إلى عنقه . وأسرع المحامى يقول فى حدة :

ـ ماذا ؟.. ماالذى تفعلين ؟.. بل ماذا تفعلون هنا جميعاً .. هذا أمر غير عادى وغير لائق . لو أن سيدكم عرف ذلك فلن يرضيه الأمر .

قال بول : ذلك أنهم جميعاً خائفون .

لم يحتج أحد ، وساد صمت طويل لم يقطعه غير تأوهات الخادمة التى راحت تبكى . وخاطبها بول قائلاً فى صوت غاضب ينم عن انفعاله هو بالذات "اصمتى" . والحق أن المرأة عندما ازدادت زفراتها وتأوهاتها وتحولت إلى الجميع ، وأجفل الجميع ، واستداروا نحو الباب الداخلى وقد ارتسمت فى عيونهم أما رات الذعر والخوف ، ثم استطرد يقول مخاطباً الطاهى :

ـ والآن .. ناولنى الشمعدان . سوف نتبين الأمر الآن على الفور.

ثم طلب من مستر أثرسون أن يتبعه ، ومضى به إلى الحديقة الخلفية وقال له :

ـ أرجوك الآن أن تلزم الهدوء وألا تصدر أية حركة بقدر الامكان ، فإننى اريدك أن تسمع وإلا سمعك هو . وإذا حدث مثلا وطلب منك أن تدخل فلا تفعل .

ومــاأن سـمع مستر أثرسون ذلك حتى أخذته رعشه عصبية أوشكت أن تفقده توازنه ، ولكنه لم يلبث أن استرد جأشه وتبع رئيس الخدم إلي مبنى المعمل . ثم اجتاز قاعة التشريح المزدحمة بالأوانى والقوارير ، وبلغ أسفل السلم . وهناك أشار بول له كى يرتد إلى أحد الأركان وأن يصغى ، ثم ألقى هو نفسه الشمعدان فوق طاولة ،وجمع كل شجاعته وصعد درجات السلم ، وبيد مترددة طرق باب غرفة المكتب المكسو بالصوف الأحمر وقال :

ـ سيدى .. مستر أثرسون هنا ، وهو يريد أن يراك .

وفى نفس الوقت ، وباشارة آمرة أشار للمحامى أن يصيخ السمع ؛ وارتفع من الداخل صوت شاك يقول :

ـ قل له أنه يستحيل على أن أستقبل أحداً .

قال بول وفى صوته رنة انتصار :

ـ حسنا ياسيدى .

وأخذ الشمعدان وعاد بمستر أثرسون عبر الفناء إلى المطبخ الكبير حيث اطفئت النار ، وراحت الصراصير تتواثب فوق الأرض . وقال وهو يحدق فى عينى المحامى :

ـ حسنا يامستر أثرسون .. هل كان ذلك صوت سيدى ؟

أجاب المحامي وقد ازداد شحوب وجهه ، ولكن دون أن يحول بصره :

ـ خيل إلى أنه متغير .

قال رئيس الخدم :

ـ متغير ؟.. أعتقد ذلك بالطبع ، فإننى قضيت فى هذا البيت عشرين سنة ، فهل من الممكن ألا أعرف صوته ؟.. كلا ياسيدى .. أنهم أخفوا مولاى .. اخفوه منذ ثمانية أيام بعد أن سمعناه يدعو الله ويبتهل إليه .. ولكن من هذا الذى بالداخل ؟.. الذى أخذ مكانه .. ولماذا يبقى هناك يامستر اثرسون ؟..

هذه جريمة لابد أن تنتقم لها أسماء .

قال مستر أثرسون وهو يعض اصبعاً من أصابعه :

ـ هذه قصة غريبة جداً يابول . بلى هى قصة بعيدة عن العقل ياصاحبى ..

وإذا فرضنا أن الآمر كما تقول : وإذا فرضنا أن الدكتور جيكل قد .. حسناً ، نعم ، إذا فرضنا أنه قتل فما الذى يدفع قاتله للبقاء ؟.. هذا غير معقول .. ولا يمكن أن يصدقه أحد .

قال بول : حسناً يامستر أثرسون . أنت صعب الأقناع .. ولكننى على يقين بأننى سأعرف كيف أقنعك . أعلم أن هذا الرجل ، أو هذا الكائن ، أو هذا الذى لاأعلم من

هو والذى يقيم فى غرفة المكتب لم يكف طوال الأسبوع الأخير عن طلب عقار معين بالحاح دون أن يستطيع الحصول عليه كما يريد .. كان يحدث له من وقت لآخر ، وأنا اتكلم عن مولاى .. بأن يكتب أوامره فى قصاصة من الورق يلقيها فى السلم . ولم يكن لدينا ما نفعك طوال هذه الأيام الثمانية الأخيرة غير ذلك .. لاشئ غير قصاصات الورق ، والباب المغلق .. حتى وجبات الطعام كنا نتركها له أمام الباب ، .. وكان يأخذها عندما يتأكد أن أحداً لايراه . حسناً ياسيدى .. كانت الأوامر والطلبات تنهال علينا كل يوم ، وفى بعض الأحيان مرتين أو ثلاث مرات فى يوم واحد . وكان لابد لى من أن أمضى إلى جميع الصيدليات ومحلات العقاقير بالجملة فى المدينة . وكنت كلما أحضرت له العقار المطلوب يلقى إلى بورقة أخرى يقول لى فيها أن أعيده إلى صاحبه وأن أمضى إلى صيدلية أخرى وأنه بحاجة نصوص إلى ذلك العقار ياسيدى ، ولست أدرى لأى سبب .

سأله أترسون : هل اختفظت بإحدى هذه القصاصات ؟

فتش بول فى جيبه ، وأخرج ورقة مفروكة أخذها المحامى واقترب من الشمعدان وفحصها عن قرب فى اهتمام . وهذا انصها : الدكتور چيكل يحيى مستر لاد ويؤكد له أن العينة التى أرسلها إليه غير نقية تماماً ، ولا يمكن استخدامها لأغراضه حالياً . وفى السنة الماضية اشترى الدكتور چيكل منها كمية كبيرة من محلكم ، وهو يرجوكم أن تبحثوا له بصفة عاجلة عما إذا كان لايزال لديكم هذا النوع من العقار ، وأن ترسلوا إليه كمية منه بأسرع مايمكن ، ولايهم السعر ، فإن لهذا القعار أهمية كبيرة جداً بالنسبة للدكتور چيكل .. كان نص الرسالة حتى هذه النقطة عادياً جداً ، ولكن بعد الكلمة الأخيرة جرى سن التعلم على الورقة فى عصبية غاضبة نمت عن مشاعر كاتبها ، فقد خدش الورقة وهو يكتب الكلمات التالية "واستحلفك بالله أن ترسل إلى قليلاً من العقار القديم .

قال مستر أترسون : هذه رسالة غريبة .

ثم اردف يقول فى صراحة : ولكن كيف حدث أن احتفظت معك بهذه الورقة . وكيف خطر لك أن تغض الرسالة ؟

أجابه بول : ذلك أن موظف مستر لاد غضب أشد الغضب ياسيدى وألقى بالرسالة فى وجهى كما لو كانت قذارة .

قال المحامي : هذا خط الدكتور دون أى شك ، فهل تعرف ذلك ؟

أجاب الخادم فى غير اقتناع :

ـ كنت أحدث نفسى وأقول أنه أشبه بخطه .

ثم أردف يقول فى لهجة مختلفة :

ـ ولكن فيم يهم الخط مادمت قد رأيته .

صاح مستر أثرسون : هل رأيته ؟.. حسناً .

أجاب بول : إليك ماحدث . دخلت قاعة التشريح فجأة ، قادماً من الحديقة ، ولا ريب أنه تسلل إلى الخارج لكى يبحث عن العقار ، أو لسبب آخر لا أدريه ، لأن باب غرفة المكتب كان مفتوحاً . وكان واقفاً فى آخر القاعة ، يبحث بين القنانى والقوارير . وعند دخولى رفع عينيه وأطلق صيحة فائقه ، وهرب من السلم إلى غرفة المكتب . ولم أره غير دقيقة واحدة ، ومع ذلك فقد وقف شعر رأس فوق نافوخى من الخوف والهول . والآن قل لى ياسيدى : إذا كان ذلك الرجل هو مولاى فلماذا كان يضع قناعاً على وجهه إذا كان مولاى فلماذا أطلق تلك الصيحة المذعورة ، ولماذا بالهرب عندما رآنى . أننى قضيت مدة طويلة فى خدمته ثم ...

ولكن الرجل سكت ، ومد بيده على وجهه . وقال مستر أثرسون :

ـ كل هذه الظروف غريبة فى الواقع ولكننى أظن أننى بدأت أرى فى وضوح لاريب أن سيدك مصاب بأحد هذه الأمراض التى تعذب وتشوه من يصاب بها . ومن هنا

تغيير صوته طبقاً لكل الاحتمالات . ومن هنا القناع وابتعاده عن الناس ، ومن هنا اهتمامه بالحصول على العقار الذي يمنح هذه النفس المسكينة الأمل فى البرء والشفاء . وأسأل الله ألا يفقد المسكين هذا الأمل .

هذا هو تفسير كاف وحزين يابول ، بل من البشاعة مواجهته .

ولكنه تفسير بسيط وعادي ومتماسك ، يخلصنا من كل المخاوف المفرطة .

قال رئيس الخدم وقد امتقع وجهه :

ـ سيدى ، هذا الرجل لم يكن مولاى ، وهذه هى الحقيقة

ونظر حوله وهمس قائلاً :

ـ أن مولاى رجل طويل القامة ومتين البنية ، أما ذلك الرجل فيكاد يكون قزماً .

أراد أترسون أن يحتج ، ولكن بول استطرد قائلاً :

ـ أواه ياسيدى . هل تظن أننى لاأعرف مولاى بعد عشرين سنة هل تظن أننى لاأعرف مدى ارتفاع رأسه فى إطار باب غرفة المكتب حيث كنت أراه كل يوم طوال حياتى معه !.. كل ياسيدى . أبداً ، أن ذلك الكائن المقنع ليس الدكتور جيكل ، ومن هنا أعتقادى التام بأن هناك جريمة قتل .

قال المحامى : بول ، مادمت تقول هذا فإننى أجد نفسى مضطراً إلى التأكد منه وعلى الرغم من رغبتى فى التخفيف عن مولاى ، وعلى الرغم من شكوكى إزاء هذ الرسالة التى يخيل إلى أنها تثبت أنه لايزال على قيد الحياة يجب أن أعتبر أن من واجبى أن أقتحم هذا الباب .

صاح رئيس الخدم : آه .. هذا نعم الرأى ياسيدى .

قال أترسون : لننتقل الآن إلى نقطة أخرى . من الذى سيتكفل بذلك .

أجابه الآخر دون أن تطرف له عين :

ـ أنا وأنت طبعاً ياسيدى .

قال المحامى : هذا عين الصواب ، ومهما تكن النتيجة فسأحرص على ألا يمسك أى ضرر أو سوء .

واستطرد بول يقول : هناك بلطة فى قاعة التشريح ، ويمكنك أن تأخذ محرك النار من المطبخ .

أخذ المحامى المحرك المذكور ، وكان ثقيلاً ، ولوح به وقال وهو يرفع عينيه :

ـ هل تعرف يابول أننا سنتعرض ، أنا وأنت ، إلى بعض الخطر ؟

أجاب رئيس الخدم : طبعاً ياسيدى ـ هذا صحيح .

ـ من الأوفق إذن أن نتكلم بصراحة . أن كلا منا يعرف اكثر مما قال . ولا يجب أن نخفى شيئاً . هذا الشخص المقنع الذى رأيته ، هل عرفته ؟

ـ الحق ياسيدى أن هذا قد حدث بسرعة . وكان ذلك المخلوق منحنياً جداً بحيث لا أستطيع الجزم . ولكن إذا أردت أن تسألني : هل كان مستر هايد ؟ فحسناً ، نعم ، أعتقد أنه كان هو ، فقد كانت له نفس قامته تقريباً ، وله نفس طريقته المخيفة العنيفة ، ومهما يكن من أمر فمن غيره يستطيع الدخول من باب المعمل . لا تنسى ياسيدى أنه عندما وقعت الجريمة كان المفتاح لايزال معه . ولكن ليس هذا كل شئ . ولا أدري يامستر أثرسون إذا كنت قد التقيت بكل ذلك بمستر هايد .

أجاب المحامى : نعم . التقيت به وتحدثت معه .

ـ فى هذه الحالة يجب أن نعرف ، كما نعرف جميعاً أن ذلك الجنتلمان كان به شئ غريب .. لاأعرف حقاً كيف أفسرعا أريد أن أقول خبرا من هذا ولكن المرء كان يحس أمامه بخواء وببرودة فى عظامة .

قال مستر أثرسون : أننى أعرف .. فقد عانيت نفس الشعور .

ـ حسناً يامستر أثرسون .. عندما ظهر ذلك المخلوق كالقرد بين القناني والقوارير ، وهرب إلي غرفة المكتب خيل إلى أن ثلجاً هبط بطول عمودى الفقرى . أده .. أعلم أن هذا ليس دليلاً يامستر أثرسون ، فأنا قد تلقيت حظا من التعليم يسمح لى بذلك ، ولى عقل أستطيع أن أميز به ، وأقسم لك بالانجيل أن ذلك المخلوق كان مستر هايد .

قال المحامى : لكن . أن مخاوفى تحملنى على الأعتقاد بذلك أنا الآخر . ماكان يمكن أن تسفر هذه العلاقة إلا عن بالغ السوء . نعم .. وإذا أنا صدقتك حقاً ، فإننى أعتقد أن هذا المسكين هارتى قد قتل وأظن أن قاتل . ولكن لأي غرض .. الله وحده يعلم لماذا يبقى القاتل فى بيث القتيل حتى الآن .. حسناً سوف تنتقم له .. قل لبرادشو أن يأتي .

وجاء الخادم المذكور ، وكان ممتقع اللون جداً ، وبادى الأنفعال ، وخاطبه المحامى قائلاً :

ـ تشجع يابرادشو . أعرف أن هذا الأنتظار كان شاقاً عليكم جميعاً .، ولكننا قررنا أن نفرغ من هذا الأمر . وسأدخل أنا وبول إلى غرفة المكتب بالقوة . وإذا وجدنا كل شئ على مايرام فسوف أتحمل أنا وحدى المسئولية .

ولكن ، وخوفاً من أن يكون قد وقع شر ما أو أن يحاول شرير الهرب من الباب الخلفي ، فإن من الأوفق أن تمضي أنت والطاهى إلى باب المعمل وتعسكر ، أمامه . وسند ٤ لكما عشر دقائق لكى تأخذا أهبتكما .

واستطرد يقول مخاطباً بول ، فى حين كان برادشو يبتعد هو والطاهى :

ـ فلنأخذ مكانينا الآن .

وأمسك بمحرك النار تحت ذراعه ، وسبقته فى الفناء . وكانت السحب والغيوم قد تجمعت أمام القمر ، والظلام حالك جداً فى تلك الساعة ، والريح لاتصل إلى هذا البئر من المبانى إلا في هبات متقطعة تجعل زبالة الشمعة ترتعش ، ولكنهما بلغا أخيراً قاعة

التشريح حيث جلسا ينتظر أن في صمت . وكان صخب لندن وضجيجها يرتفعان من كل ناحية ، ولكن الصمت فى الجوار القريب لم يكن يقطعه غير دبيب أقدام تروح وتجئ على أرضيه غرفة المكتب .

وهمس بول يقول : هكذا يمشى طوال النهار ، واكبر جزء من الليل تقريباً ، ولا يهدأ إلا عندما يتلقى عينه جديدة من الصيدلى .

آه لاريب أن ضميره يثقله مادام لايعرف معنى للراحة هكذا .

ولكن اقترب قليلاً واسمع ضع قلبك فى سمعك يامستر أترسون ، وقل لى هل هذه شبة الدكتور ؟

كان وقع الخطوات خفيفاً وحيثئاً يكاد يكون راقصا رغم بطئها ، كانت تختلف تماما عن المشية الثقيلة الرنانة المعروفة عن هنرى جيكل ، وتنهد أترسون وقال :

ـ ألم تسمع شيئاً آخر /

أومأ بول بالايجاب وقال :

ـ بل سمعت ـ سمعته يبكى .

سأله المحامى وقد سرت فى بدنه رعشة :

ـ يبكى ؟.. كيف هذا ؟

أجاب رئيس الخدم : كان يبكى كالمرأة . أو كنفس فى محنة . وعندما انصرفت بقى ذلك يثقل على قلبى بحيث بكيت أنا الآخر لبكائه .

وكانت الدقائق العشر قد أوشكت على الأنتهاء ، فأخرج بول البلطة وألقى بالشمعدان فوق أقرب منضدة حتى تكون الرؤية أفضل للمعركة . وحبس الرجلان أنفاسهما واقتربا من المكان الذى تمشــى فيه الأقدام جيئه وذهاباً باستمرار وبدون انقطاع .

وقال أثرسون فى صوت قوى : جيكل . أننى أريد أن أراك .

لزم الصمت بضع لحظات ، وإذ لم يسمع جواباً عاد يقول :

ـ أننى أنذرك بكل وضوح أن شكوكنا قد استيقظت . يجب أن أراك ، وسأراك ، إذا لم يكن بالاقناع فسيكون ذلك بطريقة أخرى ، وإذا لم يكن بموافقتك فسيكون ذلك بالقوة .

صاح الصوت يقول : أثرسون .. اشفق بى بحق الله .

ولكن اثرسون قال : آه . ليس هذا صوت جيكل .. أنه صوت هايد .

حطم الباب يابول .

هز بول البلطة فوق كتفه . واهتز المبنى كله تحت وقع الضربة .

واهتز الباب ولكنه عاد مكانه بفضل القفل والمفصلات . وانطلقت من الداخل صيحة يأس تنطق بذعر حيوانى . وارتفعت البلطة من جديد ، ومن جديد تزحزح الباب ولم ينفتح . وتوالت ضربات البلطة أربع مرات، وقع القفل بعدها ، بيد أن خشب الباب كان سميكا وصلباً . ولم تنفصل المفصلات إلا بعد الضربة الخامسة ، ووقع الباب فوق البساط بالداخل .

تهيب الرجلان من الضجة التى أثاراها ومن الصمت الذى تلى ذلك ، وترددا بعض الشئ ، وقلبا البصر فى غرفة المكتب التى امتدت تحت بصرهما تحت ضوء المصباح الهادئ . وكانت الغلاية فوق النار والماء يغلى فيها . وكان هناك درجان مفتوحان أو ثلاثه ، والأوراق موضوعة بنظام وترتيب فوق منضدة العمل ، وبجوار النار معدات الشاى . وكانت غرفة المكتب تبدو كما لو كانت غرفة معيشة هادئه وفيما عدا رفوف الزجاج الزاخرة بالأدوات الكيماوية كانت تبدو غرفة عادية تماماً .

وفى وسط الغرفة تحددت جثة رجل تلوى جسده بحشرجة الموت ولا يزال يختلج . واقتربا منها في خطوات خفيفة ، وقلبا ، على ظهره ، وعرفا فيه ملامح مستر مستر

هايد . كان يرتدى ثياباً واسعة عليه جداً .. ثياباً تناسب قاعة الدكتور . وكانت عضلات وجهه لاتزال تنبض بمظهر الحياة .

ولكن الحياة نفسها تخلت عنه . والقنينة المكسورة التى لايزال يمسكها فى يده والتى تفوح برائحة اللوز المر كشفت لأترسون أن أمامه جثة رجل منتحر . وقال فى لهجة صارمة :

ـ أننا أتينا متأخرين تماماً سواء لانقاذه أو مجازاته . لقد ذهب هايد للقاء قاضيه ، ولايبقى أمامنا الآن إلا البحث عن جثة سيدك .

كان أهم جزء من المبنى عبارة عن قاعة التشريح ، وكانت تشغل الطابق الأرضى كله تقريباً ، وتطل على الفناء وكان هناك ممر يرتبط بين قاعة التشريح والباب المؤدى إلى الشارع الضيق ، ثم أن غرفة المكتب تؤدى إلى نفس الشارع عن طريق سلم آخر ، وكانت هناك غرف أخرى صغيرة مظلمة ، قبو واسع . وقام الرجلان بتفتيش كل هذه الأماكن تفتيشاً دقيقاً . على أن كل غرفة منها لم تتطلب غير نظرة سريعه لأنها كانت كلها خالية ، وظلت مغلقة منذ وقت طويل . وصحيح أن القبو كان مزدحماً باكراس مكرسة من الأشياء ، الغريبة يرجع أغلبها إلى عهد الجراح السابق ولكنهما ماإن فتح الباب حتى أدركا عبث بحثهما لأن العناكبه عششت حوله بحيث تعيق دخول أى أحد . ولم يجدا فى البيت كله أثر الهنرى جيكل ، حيا أو ميتاً .

وضرب بول بلاط الطرقة بقدمه وقال وهو ينصت إلى رجع الصدى :

ـ لاريب أنه مدفون هنا .

قال أترسون : هذا مالم يكن قد هرب .

ومضى وفحص الباب المؤدى إلى الشارع الضيق . كان موصداً بالمفتاح .

والمفتاح نفسه بجواره ، وعلى الأرض وقد علاه الصدأ . وقال :

ـ يبدو أنه لم يستخدم منذ وقت طويل .

قال بول : يستخدم ؟.. ألا ترى ياسيدى أن اسنان المفتاح مكسورة كما لو أن أحدا قد كسرها عمراً .

قال أثرسون : هذا صحيح . ثم أن الأسنان المكسورة نفسها يعلوها الصدأ .

وتبادل الرجلان النظر ، مذهولين . وقال المحامى :

ـ هذا أمر مستغلق .. لنعد إلى غرفة المكتب .

وصعدا درجات السلم فى صمت ، وهما ينظران من وقت لآخر إلى الجثة وفى عينيها أمارات الذعر ، وراحا يفحصان محتويات الغرفة بكل دقة . كانت هناك آثار عمليات كيمائية فوق إحدى المناضد وكميات كبيرة من الملح معدة فى أطباق من الزجاج كما لو كانت أعدت لتجربة قوطع المسكين أثناءها . وقال بول :

ـ هذا هو نفس العقار الذى كنت أذهب دائما لكى أبحث له عنه .

ولم يكن يفرغ من قوله هذا حتى طفح الماء المغلى من الغلاية فى قوة وعنف .

وقادهما هذا إلي المدفأة . وكان بجوارها مقعد كبير وبجواره المعدات الخاصة لعمل الشاى ومعها فنجان فيه سكر . وكان هناك رف صفت فوقه بعض الكتب ، إحدها مفتوح بجوار صينية الشاى ، وعرف أثرسون فيه كتاباً علمياً أبدى الدكتور جيكل نحوه اهتماما خاصاً ، ورأى أثرسون فى هوامشه بعض الإيضاحات الساخرة مكتوبة بخط الدكتور جيكل نفسه .

واستمرا فى بحثهما وتفتيش الغرفة ووصلوا إلى المرآه . ونظرا إلى أعماقها فى فزع غير ارادى . ولكن المرآة كانت موضوعة بحيث لاتريهما إلا الضوء الوردى الذى تيلا عب على السقف . وكانت النار تومض فى انعكاسات متعددة على زجاج الرفوف ، وبدت لهما صورتهما بالذات باهته تنطق بامارات الذعر والخوف . وهمس بول يقول :

ـ هذه المرآة رأت أشياء كثيرة غريبة ياسيدى .

أجاب المحامى بنفس اللهجة :

ـ لايمكن أن تكون رأت شيئاً أكثر غرابة من وقوده هنا ، فماذا كان جيكل يفعل ..

وأمسك عن الكلام في اجفاله ، ولكنه لم يلبث أن تغلب على ضعفه وقال :

ـ لأى غرض أراد جيكل مرآه فى معمله ؟

قال بول : انك محق فى هذا السؤآل .

واهتما بعد ذلك بمنضدة العمل . وفى الدرج ، كان بين الأوراق المرتبة بعناية تامة مظروف كبير مكتوب عليه بخط الدكتور اسم مستر أثرسون . وفضه المحامى ، وافلتت منه رسائل كثيرة ووقعت على الأرض وكانت الرسالة الأولى عبارة عن تصريح مكتوب بنفس النصوص الغريبة التى تضمنتها وصية الدكتور قبل ذلك بستة شهور والتى تضمنت بعض الهيات والعطايا فى حالة اختفائه ولكن مع استبدال اسم هايد ، وقرأ المحامى فى دهشة شديدة جابريل جون أثرسون . ونظر إلي بول ثم عاد وتنقل بعد إلي الوصية ، ثم إلى المجرم الميت المحدد فوق الأرض ، وقال آخيراً :

ـ أن رأس تدور . كانت هذه الوصية معه طوال هذه الأيام الأخيرة ، ولم يكن هناك سبب يحدوه إلي أن يحبنى ، ثم أنه كان غاضباً منى دون ريب لأننى كشفته ، ومع ذلك فهو لم يتلف هذه الوصية .

وانتقل إلى الرسالة الثانيه ، وكانت قصيرة ، كتبها الدكتور وأرخها بخط يده . وصاح المحامى :

ـأوه يابول . أنه كان هنا ، وعلى قيد الحياة اليوم بالذات ، ولا يمكن لأحد أن يخفيه فى مثل هذا الوقت القصير ، ولاريب أنه لايزال حياً . لابد أنه هرب . ولكن لماذا يهرب ؟ وكيف ؟ وفى هذه الحالة هل يمكن أن ندعو هذا انتحاراً ؟ يجب أن نتوخى الحذر ، فإننى أشعر أننا قد نجر مولاك إلي كارثة موسفة .

سأله بول : لماذا لاتقرأها ؟

أجابه المحامى فى لهجة مأساوية :

ـ لأننى خائف . ويشهد الله أنه لادافع لى ...

وأدنى الرسالة من عينيه وقرأ فيها مايلى :

عزيزى مستر أترسون :

عندما تقع هذه الرسالة بين يديك أكون قد اختفيت بطريقة لايستطيع ذكائى ولا بعد نظرى توقعها . وأنما تقول لى غريزتى وطبيعة الموقف الغريب الذى لاأعرف له أسما والذى أجد نفسى فيه أن نهايتى لن تطول . وداعا إذن ، وابدأ بقراءة القصة التى وعدتى الدكتو لانيون أن يبعث بها إليك ، وإذا أعددت أن تعرف المزيد بعد ذلك فعليك بقراءة اعترفى .

صديقك التعس

وغير الجدير بصداقتك هنرى جيكل .

وقال أترسون : هل هناك رسالة ثالثة .

أجابه بول : هاهى ياسيدى .

وناوله مظروفاً صخماً عليه أختام كثيرة وضعه المحامى فى جيبه .

وقال :

ـ لن اتكلم عن هذه الرسالة ، سواء هرب سيدك أو مات ، فيجب على الأقل أن نحافظ على سمعته . الساعة الآن العاشرة . سأعود إلى بيتي وأفرغ هذه الأوراق فى هدوء ، ولكننى سأعود قبل منتصف الليل ، وسنتصل عندئذ بالبوليس .

وخرجا وأغلقا باب قاعة التشريح خلفهما بالمفتاح ، وترك أترسون مرة أخرى الخدم مجتمعين حول النار في البهو ، ومضى إلى مكتبه لقراءة الرسالتين اللتين تضمان لاريب تفسيراً مسر .

* * *

الفصل التاسع
قصة الدكتور لانيون

فى التاسع من شهر يناير ، أى منذ أربعة أيام جاءنى فى بريد المساء خطاب مسجل كتبه بخط يده وأرسله إلى صديقى الحميم وزميلى القديم فى الدراسة هنرى جيكل . وقد أخذتنى الدهشة لأننا لم نعتد على التراسل ، وقد رأيته بل وتناولت العشاء معه فى الليلة السابقة ، ولم أر فى علاقاتنا مبرراً لارسال خطاب مسجل . وضاعف مضمون الخطاب من دهشتى . وهذا نص ماجاء فيه .

١٠ ديسمبر سنة ١٨٠٠

عزيزى لانيون :

أنت أحد أصدقائى القدامى ، ورغم أننا أختلفنا أحياناً فى المسائل العلمية فإننى لاأذكر من ناحيتى على الأقل ، ى صرح فى صداقتنا ، ولو أنك جئتنى ذات يوم يوم وقلت لى : جيكل ، أن حياتى وشرفى وعقلى رهن اشارة منك ماترددت لحظة واحدة فى انقاذك والتضحية بثروتى ، وشرفى الآن وحياتي وعقلى رهن اشارة منك أنت يالانيون ، وإذا أنت لم تخف لنجدتي الليلة فإننى هالك لامحالة ، ولك أن تفترض ، بعد هذا القول أننى سأطلب منك شيئاً مخلا بالشرف ، والحكم فى هنا لك أنت . أريدك أن تتخلى الليلة عن كل التزاماتك وأن تستقل عربة ، هذا إذا لم تكن عربتك بالباب ، وأن تأخذ خطابى هذا كمستند وأن تحضر فوراً إلى منزلى . وقد أخطرت بول بقدومك ، وسوف تجده فى انتظارك ومعه حداء . وعليك عندئذ أن تفتح باب غرفتى عنوة ، وأن تدخل وحدك وتفتح الدولاب المرقم برقم ٢١ على يدك اليسرى ، أو تغتصب القفل إذا كان الدولاب مقفلاً ، وأن تأخذ الدرج الرابع بمحتوياته ، كما هو . وزيادة فى التأكد ، وحرصاً من أن أكون قد أخطأت ، بسبب ماأشعر به من ضيق وانزعاج ، فسوف تعرف الدرج الصحيح ، ففيه أكياس مملوءة بالمساحيق ، وقارورة وكراسة صغيرة ، وأتوسل إليك أن تأخذ هذا الدرج بما فيه إلى بيتك بميدان كافنديش.

هذا هو الشطر الأول من الجميل الذى أريد أن تسديه إلى . ولنأت الآن إلى الشطر الثانى . سوف تعود إلى بيتك قبل منتصف الليل إذا أنت عجلت بالخروج بمجرد استلامك خطابى هذا . ولكننى أحرص على أن أترك لك مايكفى من الوقت ، وليس ذلك خوفاً بما قد يقع من عقبات لاحسبان لها ، ولكن لأن من الأفضل أن تختار ساعة يكون خدمك قد أودا فيها إلى مضاجعهم لانجاز مايبقى عليك عمله . ولهذا أرجوك أن تواجد بمفردك فى عيادتك فى منتصف الليل ، وأن تستقبل بنفسك الرجل الذى سيأتيك من قبلى وأن تسلمه الدرج الذى أتيت به معك .

ستكون عندئذ قد قمت بدورك واستحققت كل شكرى وامتنانى .

وإذا أصررت علي الحصول على تفسير ، نفى خمس دقائق أخرى ستكون قد فهمت الأهمية الكبري لهذه الاجراءات ، ويكفيك أن تهمل شيئاً واحداً لكى تثقل ضميرك بموتى أو بإصابتى بالجنون .

وفى يقين بأنك لن تستخف بطلب هذا فإنه يكاد أن يفحص على وأن يرى لترتجف لمجرد التفكير فى مثل هذا الاحتمال ، ويكفيك أن تعرف أننى فى هذه الساعة ، فى مكان غريب ، اتقلب فى يأس بالغ لايمكن لأى خيال أن يتصور مداه . وأننى على يقين ، رغم ذلك ، بأنك إذا قمت بما أطلبه منك كما يجب فإن مخاوفى سوف تتلاشى كالحلم ، فامدد يدك إلي ، وأسرع لنجدتي ياعزيزى لانيون .

صديقك هنرى جيكل

حاشية : بعد أن أغلقت الظرف خطر لى خاطر مضجعى ، فقد يتأخر توزيع البريد فلا يصلك خطابى هذا قبل صباح الغد .

وإذا حدث هذا ياعزيزى لانيون فعليك انجاز ماأطلبه منك بأسرع وقت خلال النهار . وعليك مرة أخري أن تنتظر رسولى فى منتصف الليل . وقد يكون السيف قد سبق العزل عندئذ .

وإذا مرت الليلة دون أن يأتيك أحد فاعلم أن هنرى جيكل قد قضى

أقنعتنى قراءة هذا الخطاب أن زميلى قد أصيب بلوثة من الجنون . ولكن حيث أننى لم أكن أملك الدليل القاطع على ذلك ، فقد رأيت نفسى مضطراً إلى القيام بما طلبه منى . وكلما استغلق على الأمر كلما رأيت أهميته وأدركت أننى إزاء مسئولية خطيرة لايسعنى إلا تنفيذ مايطلبه منى .

وغادرت مقعدى ، وركبت عربة مضت بى رأساً إلى بيت الدكتور جيكل ، وكان رئيس الخدم فى انتظارى ، فقد جاءه الآخر خطاب فى بريد المساء .. خطاب مسجل وأرسل على الفور فى طلب حداد ونجار . وجاء الرجلان ونحن نتبادل الحديث ، ومضينا جميعاً إلى معمل الدكتور دنمان ، ومنه كما لاتعلم ، نصل إلى المكتب الخاص بالدكتور جيكل .

وكان الباب متيناً ، والقفل قوياً . واعترف النجار بأنه سيلقى مشقة كبيرة ، وأنه لابد له من إحداث تلفيات كثيرة إذا نحن لجأنا إلى القوة . واستولى اليأس تقريباً على الحداد . ولكن كان هذا الأخير رجل على كثير من الحذق والمهارة فلم تمض ساعتان حتي انفتح الباب . ولم يكن الدولاب المرقم برقم ١ مقفلا بالمفتاح ، فأخذت الدرج ولففته فى ملاءة وعدت به إلى بيتى بميدان كافنديش .

وما أن ضمتنى غرفتي حتى رحت أفحص محتويات الدرج . كانت اكياس المساحيق ملفوفة جيداً ، ومع ذلك فإن شكلها لم يكن يدل على أنها لقيت عناية الصيدلي . وأدركت فى غير صعوبة أنها إنما لقيت عناية خاصة من الدكتور جيكل نفسه . وإذ فتحت إحداهما رأيت ماخيل لى أنه ملح بلورى ، أبيض اللون . واهتمت بالقارورة بعد ذلك ، وكانت مملوءة إلى النصف بسائل أحمر بلون الدم ، نفذت رائحته القوية إلى أنفى وبدا لى أنه يحتوى على فوسفور وأثير لحائز . أما العقاقير الأخري فلم أفهم منها شيئا . والكراسة مجرد كراسة عادية من كراريس التلاميذ ولا تضم غير تواريخ متتابعة

والكراسة مجرد كراسة عادية من كراريس التلاميذ ولا تضم أى تواريخ متتابعة لعدد من السنين ، ولكننى لحظت أنها انقطعت منذ مايقرب من سنة دون أى تفسير .

وكنت أري هنا وهناك تاريخاً متبوعاً بملاحظة ، ست أو سبع مرات ، كما رأيت فى الصفحات الأولى كلمتي "فشل تام ،. تليها علامات تعجب كثيرة .

وعلى الرغم من أن كل هذا أثار فضولى ، إلا أننى لم أفهم منه شيئاً بالتحديد . كان معى قارورة تحتوى على صبغة ماء وكمية من الملح ، وكراسة تحتوى على سلسلة من التجارب لم تسفر عن شئ طبقاً للملاحظة التى كتبها الدكتور جيكل . فما الضرر الذى يمكن أن يمس صديقى الهارب من هذه الأشياء .

وإذا كان فى مقدور رسوله أن يذهب إلي مكان ما فلماذا لا يستطيع هو الذهاب إلى ذلك المكان . وحتي إذا ماكان هناك شيئاً يمنعه فلماذا يجب أن استقبل هذا الرسول سراً ؟ كنت كلما فكرت في ذلك كلما زاد يقينى بأننى أمام حالة من الهوس العقلى ، ولهذا ماكدت أصدر أوامرى إلى خدمى بأن يأووا إلى مضاجعهم حتى حشوت مسدساً قديماً كنت احتفظ به للدفاع عن نفسى عند الضرورة .

وما إن دقت آخر دقة من الدقات الأثنتى عشرة معلنة انتصاف الليل حتى سمعت طرقاً على الباب . وذهبت أنا نفسى وفتحت . ووجدت أمامى رجلاً قصيراً يختفى خلف أعمدة البوابة فسألته قائلاً :

ـ أقادم أنت من قبل الدكتور جيكل ؟

أومأ الرجل بالايجاب على مضض . وعندما دعوته للدخول لم يفعل إلا بعد أن ألقي نظرة فاحصة فى دياجير الشارع . كان هناك شرطى يتقدم على بعد ، وقنديله فى يده . وخيل إلى أن زائرى أجفل عندما رآه ، وأسرع بالدخول .

وأعترف أن حركاته هذه أثارتنى وضاعفت من انزعاجى . وتبعته حتى الضوء

الساطع فى غرفة الاستشارة ، وأنا علي أتم الاستعداد الاستخدام مسدسى .

وهناك استطعت أن اراه فى وضوح . وتأكدت عندئذ أننى لم يسبق لى أن التقيت به . كان قصير القامة ، وأثارت هيئته ، وملامحه اشتمئزازي ، فقد كانت تدل على نشاط عضلى ولايتناسب مع ضعف تكوينه ، وربما أن الشئ الذى أثار اشمئزازى أكثر هو ارتباكه الطبيعى الذى لم يحاول اخفاءه .

كان ذلك الارتباك يبدو بداية لتصلب الشرايين ، وقد نسبته عندئذ إلى نفور شخصى. وأدهشتنى حدة حركاته ، ولكن جدت بعد ذلك أسباب جعلتنى أعتقد أن هذا النفور كان أعمق من ذلك فى طبيعتى الانسانية ، وأنه يصدر من دافع اكثر نبلاً من عاطفة الكراهية .

أثار ذلك الرجل فى نفس منذ اللحظة الأولي فضولى فضولى لاأغالى إذا قلت أنه فضول غير سليم لأنه كان يرتدى ثياباً مضحكة ، فرغم أنها كانت من خامة غالية وتدل على ذوق سليم إلا أنها كانت واسعة جداً عليه .

كان بنطلونه يتهدل فوق ساقيه ، وقد ثناه من أسفله حتى لا يجره على الأرض ، وياقتة تتهدل هى الأخري وبصورة تثير الضحك فوق كتفيه .

والعجيب أنه هيئته هذه لم تستثر ضحكى . ولكن كان في جوهر ذلك الرجل الذى أراه أمامى شيئا غريباً وشاذاً جعلنى اتساءل فى فضول من يمكن أن يكون وماذا يفعل فى الحياة وماهي ثروته ومكانته فى الدنيا ؟

هذه الملاحظات الذتى أوردتها هنا بالتفصيل لم تستغرق منى غير بضع ثوان ، ثم أن زائرى كان يبدو شديد الاضطراب والانفعال فقد صاح يقول :

ـ هل أحضرته ؟.. أهو معك ؟

ولفرط انفعاله ، وتلهفه أمسكنى من ذراعي كما لو كان يريد أن يهزنى .

وأحسست لملامسته بألم بارد يسرى فى عروقى فأقصيته عنى وأنا أقول :

ـ رويدك ياسيدى . أنك تنسى أننى لم أتشرف بمعرفتك بعد .

ولكى أعطيه المثل ، جلست أنا نفسى فى مقعدى المعتاد ، مقلداً حركاتى العادية مع المرضى ، على الرغم من الوقت المتأخر وطبيعة تشاغلى والاضطراب الذي يوحيه زائرى إلى ، وقال فى لهجة مهذبة :

ـ ألتمس معذرتك يادكتور لانيون . ح هو ماتقول ، ففي غمرة اضطرابى وفروغ صبره نسيت المجاملات . اننى أتيت هنا بناء على طلب صديقك الدكتور هنرى جيكل وذلك لأمر على جانب كبير من الأهمية ، وعلى ماأعلم ...

وأمسك عن الكلام ، ورفع يده إلى حنجرته ، واستطعت أن أرى أنه على الرغم من هدوئه . كان يغالب ازمة قادمة ، واستطرد يقول :

ـ وعلى مافهمت فهناك درج ...

ولكننى اشفقت على زائرى لما يعانيه من قلق واضطراب ، وربما دفعنى فضولى إلى ذلك فقد أسرعت أقول وأنا أشير إلى الدرج ، وكنت قد وضعته على الأرض ، خلف المكتب ، واسدلت فوقه ملاءة

ـ هاهو ذا .

اندفع نحوه ثم توقف وفع يده إلي قلبه . وسمعت أسنانه تصطك بعضها ببعض ، وزاغت عيناه بحيث خفت على حيات وعلى نفس ، وقلت :

ـ هدئ من روعك .

رمانى بابتسامة بشعة . وبشجاعة اليائس انتزع الملاءة . ومإإن رأى محتويات الدرج حتى أطلق شهقة كبيرة تعبر عن مدى ارتياحة بحيث استولت على الدهشة .

وفى نفس اللحظة ، قال يخاطبنى فى صوت يكاد يكون طبيعياً .

ـ الديك قدح مدرج .

نهضت من مقعدى فى شئ من الحيرة ، وأتيته بما يريد

شكرنى وهو يأتى بحركة من رأسه مبتسماً ، وقاس بضع قطرات من الصبغة الحمراء ، وأضاف إليها كمية من المسحوق . وبدا المزيج أحمر اللون فى بادئ الأمر ، ثم راح ، مع ذوبان المسحوق يزداد احمراراً فى فوران شديد ، وتتصاعد منه أعمدة من الدخان .

وفجأة ، كف المزيج عن الفوران ، وتحول فى نفس الوقت تقريباً إلى لون قومزى ضارب إلى اللون البنفسجى ، وتغير من جديد إلى لون أخضر مزرق ، وكان زائرى يتابع التغييرات فى اهتمام ولهفة ، ولم يلبث أن ابتسم . ووضع القدح فوق المنضدة ، ثم تحول إلي وألقى إلى نظرة فاحصة ثم قال :

ـ لنتكلم الآن عما سوف يقع .. هل ستكون عاقلاً وتتركنى أخرج من هنا ومعى هذا القدح دون أى تفسير ؟ أو يكون فضولك الغالب ؟ فكر قبل أن ترد لأن الأمر سيكون وفق ارادتك . سأتركك وفورا ارادتك . كما كنت حتى الآن ، لا أكثر غنى ولا أكثر علما ، إلا إذا كان احساسك بالخدمة التى اسريتها لرجل من خطر الموت يمكن حسبانها من ثروات الروح . أو إذا آثرت ستتفتح أمامك على الفور ، ودون أى تأخير وهنا بالذات فى هذه الغرفة آفاق جديدة للمعرفة ودروب تقودك إلى القوة والشهرة . وستنبهر عيناك بمعجزة جديرة بأن تثير دهشة ابليس نفسه

قلت وأنا أتظاهر بالجرأة رغم أننى كنت شديد الخوف في الواقع :

ـ سيدى . أنك تتكلم بالالغاز . وأظنك لاتندهش رأنا أصغى إليك فى شئ من الأقتناع . ولكننى ذهبت بعيداً فى طريق الخدمات الغامضة لكى أتوقف قبل أن أرى النهاية .

أجاب زائرى : حسنا يالانيون . تذكر وعدك وتسمك لى . ماسوف يحدث وماسوف تراه إنما يقع فى نطاق سر المهنة . والآن ، أنك بقيت وقتاً طويلاً مرتبطاً بأشد النظريات ضيقا واكثرها مادية ، وانكرت نظرية الطب العلمى وسخرت من أقرانك .. فانظر الآن .

ورفع القدح إلى شفتيه وجرح مانيه دفعة واحدة . وأطلق صحية وصدرت منه حشرجة ، وترنح ، وتشبث بالمنضدة ، وبقى واقفا وحيناه محدقتان ومحتقنان ، فاغرافمه . وفيما كنت أتأمله خيل إلى أننى أرى فيه تغييراً ، فقد بدا لى أنه يتمدد .. وأسود وجهه فجأة ، وبدأ كأن قسماته تذوب وتتبدل .. وماهى إلا لحظة حتى هببت واقفاً والتصقت بالحائط رافعاً ذراعى أو دافع به عن نفس من المعجزة ...، وقد ملئت رعباً وذعراً .

وصمت ورحت أقول : أوه .. رحماك ياإلهى !

ورحت اكرر هاتين الكملتين مراراً ، لأننى عرفت فى الرجل الواقف أمامى .، شاحباً وممتقعاً ، يكاد يقع مضحى عليه ، يتحسس ماأصابه كرجل خارج من القبر .. عرفت فى ذلك الرجل صديق هنرى جيكل .

ومارداه لى في الساعة التى تلت لاأقوى علي كتابته . فقد رأيت مارأيت ، وسمعت ماسمعت ، واستطارت روحى جزعاً . ومع ذلك ، وفى الساعة الحاضرة ، حيث اختفى هذا المنظر من أمام عينى أتساءل إذا كنت قد رأيته حقا ، ،ولا أعرف الرد . أن حياتى قد اضطربت من جذورها . وجافانى النوم ، وتحيط بى أفظع المخاوف فى كل ساعة من الليل والنهار ، وأشعر بأن أيامى أصبحت معدودة ، وأننى سأموت ، ورغم ذلك فسوف أموت غير مصدق ...

أما القصة البشعة التى كشفها لى هذا الرجل وهو يذرف دموع الندم ، فلن أستطيع ، بعد كل هذا الوقت أن أتذكرها من غير أن تعتريني رعشة من الهلع .

ولن أقول غير شئ واحديا ياأثرسون ، وإذا استطعت أن تصدقه فسيكون ذلك كافياً . أن الرجل الذى تسلك إلى بيتى فى تلك الليلة كان معروفاً بإعتراف جيكل نفسه ، بإسم هايد ، والبوليس يبحث عنه فى كل أنحاء العالم على أنه هو الذى قتل كاريو .

* * *

الفصل العاشر

هنرى جيكل يقدم تفسيراً كاملا لحالته

ولدت فى سنة ١٩٧٣ ، وورثت ثروة لا بأس بها ، وتمتعت فوق ذلك بمواهب رائعة ، واجبت العمل بطبيعتى ، ورحت أبحث عن احترام اكثر الناس حكمة ، وخيرة أبناء جيلى وعصرى . وأحزرت بهذه الصورة ، إذا جاز لى القول ، كل الضمانات لمستقبل شريف وجليل . والحق أن أسوأ مساوئى كان ميلى الشديد للمتعة واللذة اللتين تسعدان الكثيرين ، ولكننى كنت أجد من الصعب التوفيق بين ذلك الميل وبين رغبتها الملحة فى رفع رأس عالياً والتظاهر بالجد والرزانة أمام عامة الشعب . ونتج عن ذلك أننى لم ألجأ إلى اللهو إلا سراً وخفية ، وعندما بلغت سن الروية والتفكير ، وبدأت أنظر حولى وأتحقق من نجاحي ومكانتي في العالم ، وجدت نفسى خاضعاً لازدواج قهرى فى الشخصية . ولكن المثل العليا التى كنت أحيط نفسى بها ، كنت أبجلها وأحيطها بإحساس من الخجل يكاد يكون قرضيا . وكان الطابع الاستبدادى بطموحى هو الذى أحالني إلي ماأصبحت عليه أكثر مما فعلتمن المباذل الفاضحة التى انسقت إليها ، وهو الذى فصل فى نفسى ، بانفصام أشد حسماً من انفصام غالبية الرجال مجالات الخير ومجالات الشر التى تتكون منها الشخصية المزدوجة الطبيعية فى الرجل وفى حالتى أنا بالذات ، بلغ بى الأمر إلى حد التأمل بطريقة شاملة ممتدة فى قانون الحياة القاسى الذى يقوم على أساس الدين وينشأ عنه أحد منابع الألم العديدة . ورغم ازدواج شخصيتي ، فأنا لا أستحق أبداً صفة المنافق ، فإن كل وجه منوجهى الأثنين كان صادقاً كل الصدق ، فأنا نفسى الذى كنت أتغلب على المقاومة وأغرق فى الرذيلة ، وأنا نفسى الذى كنت أعمل فى وضح النهار لاكتساب المعرفة التى تخفف الأحزان والآلام .

وحدث أن نتيجة دراساتى وأبحاثي العلمية التى اتجهت تماما نحو نوع من الصوفية

والتأمل الديني تفاعلت وألقت ضوءاً ماداً على الفكرة التى صورتها لنفسى عن هذه الحياة الأبدية التى تدور بين عناصرى الجوهرية . ومن يوم إلي يوم ، ومن الناحيتين الأثنيتن لذكائى ، اخلاقيا وعلمياً ، كنت اقترب شيئا فشيئا من هذه الحقيقة التي جرنى اكتشافها الجرىء إلى مثل تلك الهاوية السحيقة ، وهى معرفتى بأن الرجل ليس واحداص فى الحقيقة وانما هو اثنان ، وأقول اثنان لأن طبيعة معلوماتى الشخصية لاتمتد إلى أكثر من ذلك . وسيأتى آخرون ، من بعدى ، ويتفوقون على فى هذه الناحية . وأجرؤ فأقول أنهم سوف يكتشفون أخيراً أن الرجل ماهو فى الحقيقة إلا عبارة عن مجموعة من المواطنين متعددى الأشكال والتنافر والأختلاف .

ومن ناحيتى ، وطبقاً لطبيعة حياتى ، أحرزت تقدماً أكيداً فى ناحية ، وفى تلك الناحية فحسب ، فمن الناحية الأخلاقية ، وعلى شخص أنا بالذات ، استطعت أن أتبين الأزدواج الجوهرى والأول للرجل . رأيت أننى إذا تمكنت من الأنتقال من إحدى هاتين الشخصيتين اللتين تتنازعان منطقة ضميرى إلى الأخرى ، فإن معنى ذلك أننى صاحب هاتين الشخصيتين دون أى منازع . ورحت أداعب هذا الحلم الجميل بكل حب ، حتى قبل أن تتيح لى أبحاثى العلمية تحقيق إمكانية مثل هذه المعجزة ، وهو الفصل بين هذين العنصرين الجوهريين . وقلت لنفسى أنه يكفى أن أضع كل منهما فى شخصية واضحة لتخفيف الحياة من كل مافيها مما لايطاق ولا يحتمل ، فيمضى الظالم عندئذ فى طريقة وقد تحرر من أهواء قرينه الأعلى ، ويتقدم العادل بخطى ثابتة واكيدة فى طريقة السامى منجزاً أطيب الأعمال التى يجد فيها متعته ، دون أن يرى نفسه معرضاً للعار والندم اللذين يسببهما الشر والظلم . وهذه الازدواجية العجيبة اجتمعت بهذا الشكل لمعاقبة الانسانية ، وهذان الغريبان المضادان فى صراع مستمر ، فى كنف الضمير المحزن ، أفليس هناك طريقة للتفريق بينهما ؟

كنت قد وصلت فى أفكاري إلى هذا الحد عندما سطع فجأة شعاع يضئ من تجاربى

وأخذ هذه المسألة شيئا فشيئا . وبدأت أرى فى وضوح أن مامن أحد قد حاول ذلك من قبلى ، واعنى الانتقال من شخصية إلى أخرى فى الجسد الواحد . واكتشفت أن بعض العناصر تستطيع مهاجمة هذا الغلاف الجسدى ، وأن تنتزعة كما الريح أطراف الخيمة . وكننى لن أطيل اعترافاً فى هذه الناحية العلمية ، وذلك بسببين ، أولهما أن حمل حياتنا الفادح معلق دائما على اكتافنا ، واننا عند أول محاولة لاعقائه عنا يعود إلينا أشد ثقلاً ، وبطريقة غير مألوفة ، وثانيهما ، كما سوف ترى للأسف ، هو أن اكتشافى فى كان ناقصا . وسأكتفى بأن أقول إننى بعد أن توصلت إلى معرفة الصلة بين جسدى الطبيعى وبعض العناصر التى يتكون منها عقلى ، استطعت أن أجمع تركيبة يمكن بفضلها الفصل بين الشخصين اللتين تتنازعان جسد الانسان .

ترددت كثيراً قبل أن أضع هذه النظرية موضع التنفيذ ، وكنت أعرف طبعاً أننى أتعرض لخطر الموت إذا أفرطت منى تناول تلك التركيبة أقل إفراط ، أو إذا أخطأت فى تركيبها . كنت قد أعددت صنعتى منذ وقت طويل . ولم يكن أمامى بعد ذلك إلا الحصول من مخزن للعقاقير على كمية من ملح معين كنت أعرف من تجاربى أنه العنصر الأخير الضرورى . وأخيراً ، وفى ليلة ملعونة مزجت العناصر بعضها ببعض ، وأضفت الملح . ووقفت أتأمل المزيج وهو يغلى ويفور . وماأن هدأ الغليان حتى جمعت كل قواى وتجرعت المزيج .

أحسست بأقطع الآلام .. تفتيت فى عظامى ، وغثيان مميت ، ونزع أشبه بذلك التى تحس به المرأة ساعة الوضع ، والذى يحس به المرء ساعة الموت. ثم لم تلبث هذه الآلام أن هدأت ، وعدت إلى نفس كما لو أننى أبرأ من مرض خطير . وأحسست بشئ غريب وجديد .. وشعرت بأننى أصبحت أصغر سناً ، وأخف وزنا ، وأكثر سعادة بجسدى . وأننى أصبحت انساناً آخر ، شراء إلى أقصى حدود الشر . وتمطيت مفتوناً باحساساتى . وإذا قمت بتلك الحركة تحققت فجأة بأن قامتى قد قصرت .



ولم يكن فى غرفتى فى ذلك الوقت مرآة . والمرآة الموجودة فيها الآن أتيت بها بعد ذلك بكثير بسبب تلك التغييرات . وكان الليل قدتقدم كثيراً ، والنهار يوشك أن يطلع ، وجميع من فى البيت نيام . ورأيت مدفوعاً بالأمل والنصر أن أقطع بقامتى الجديدة المسافة التى تفصل بينى وبين غرفة نومى ، وعبرت الحوش حيث النجوم تنظر إلي فى عيائها ، مشدوهة ومذهولة ، فأنا أول شخص استطاع أن يغير من شكله بصورة ملموسة ، وتسللت بطول الممرات والطبقات ، غريب فى بيتي بالذات . وإذ بلغت غرفتى رأيت نفسى لأول مرة وجها لوجة مع ادوارد هايد .

ولا استطيع أن اتكلم هنا إلا عن حدس وتخمين ، فلا أقول ماأعرف وانما ماأعتقد أنه الاكثر احتمالاً ، فأن الناحية الشريرة من طبيعتى التى نقلت فعاليتها الآن كانت أقل قوة وأقل تأثيراً من الناحية الخيرة التى طرحتها عنى لتوى . ثم أن مجرى حياتى ، وكانت تسعة أعشارها حياة عمل وقهر ، خضع لمجهوهات وعناء أقل بكثر . وأعتقد أن هذا هو السبب فى أن ادوارد هايد جاء أقصر وأرفع وأصغر بكثير من هنرى جيكل . فكما أن الخير كان ينعكس على سحنة الواحد ، كان الشر يظهر بوضوح فى ملامح الآخر .

لم أقف أمام المرآة اكثر من دقيقة . كان على أن أقوم بالتجربة الثانية ، وهى التجربة التى ستحسم الأمر .. كان على أن أرى أن كنت قد فقدت شخصيتى إلى الأبد ، وإذا كان لابد لى من أن أهجر بيتاً لم يعد بيتى ، فأسرعت بالعودة إلي معملى . وأعددت التركيبة من جديد وتجرعتها . وكابدت مرة أخرى آلام النزع ، وعدت إلي نفسي من جديد تحت صورة وملامح هنرى جيكل .

وصلت فى تلك اللحظة إلي مفترق طريق محتوم . ولو أننى عالجت اكتشافى بذهن صاف ، ولو أننى قمت بالتجربة تحت أحاسيس نبيلة وكريمة فلربما مر كل شئ بطريقة أخرى ، ولخرجت من نزع الموت والميلاد ملاكاً لاشيطاناً .

فلم يكن للعقار أى تأثير ممتاز . لم يكن شيطانياً ولا سماوياً . ولم يكن إلا ليقتحم سجن أهوائى النفسية . وانطلقت تلك الأهواء من عقالها . وفى ذلك الوقت كانت فضيلتى نعفو واستيقظت مباذلى التى كنت اكتبها بطموحاتى وانتهزت الفرصة وظهر ادوارد هايد . والنتيجة أننى أصبحت صاحب شخصيتين وجسدين مختلفين ، تميل إحداهما إلي الشر بينما احتفظت الأخرى بكل فضائل هنرى جيكل . وحتى ذلك الوقت لم أكن قد تغلبت تماماً على كراهيتى للدراسة . وكنت لاازال على استعداد لهو والمرح ولكن فى حدود المعقول لأننى كنت معروفاً واحظى بإحترام واعتبار الجميع . ولكننى كنت قد بدأت اكبر واتقدم فى السن ، وكانت تلك الحياة الخالية من اللذات والمتع تثقل على ، وكان أن نتنى هذا التغيير العجيب ، وقعت أسيراً له فى النهاية ، وكان يكفينى لكى أتخلص من هنري جيكل وفضيلتة أن أتجرع ذلك المشروب السحرى فأغدو على الفور ادوارد هايد ، دون أن يكلفنى ذلك أية خسارة مالية .

واكتريت ذلك البيت فى حى سوهو حيث تبعنى رجال البوليس وفرشته ، وألحقت بخدمتى امرأة عجوزاً غبية ، تفتقر إلي الضمير الحى ، وأخطرت خدمى أن رجلاً يدعى مستر هايد ، وصفته لهم له مطلق الحرية والادارة فى دخول بيتى . ولكى يتعودوا عليه ويأنسوا إليه زرت نفسى فى بيتى بصورتى الجديدة ، ثم حررت تلك الوصية التى أثارت غضبك كل الغضب ، بحيث أنه إذا وقع لى شئ وأنا فى شخصية الدكتور جيكل أستطيع الانتقال إلى شخصية هايد دون أية خسارة مالية . وهكذا بدأت أغترف كل مايحلوى من ملذات ومتع الحياة .

وبعض الناس يستخدمون القتلة المأجورين للتخلص من أعدائهم ، ويبقون هم بعيدا عن طائلة القانون . وكنت أنا أول من يلجأ إلى تنفيذ أغراضة الشريرة دون الاستعانة بأى أحد ، وذلك بفضل التغيير الذى أتاحه لى ذلك المشروب العجيب .

ولا مجال هنا للخوض فى الفضائح التى اشتركت فيها ، لأننى ، حتى هذه الساعة

، لاأستطيع الاعتراف بأننى ارتكبتها ، ولا أريد هنا إلا التلميح إلى التخديرات والمراحل المتتابعة التى أشارت إلى دنو عقابى . كان ذلك فى البداية مغامرة صغيرة لم تكن لها أية عواقب ، وسأكتفى بالاشارة إليها ، وهي عبارة عن عمل بالغ القسوة نحو طفلة أثار غضب أحد المارة ، عرفت فيما بعد أنه ابن عمك . وانضم إليه الطبيب وأهل الطفلة . ومرت بى دقائق خشيت فيها على حياتى . وأخيراً ، ولأجل تهدئتهم اضطر ادوارد هايد أن يصطحبهم حتى بيت هنرى جيكل وأن يعطيهم شيكاً باسم هذا الأخير . ولكننى ابعدت هذا الخطر بسهولة أن فتحت لى حسابا فى أحد البنوك باسم ادوارد هايد وأن أغير خطى بعض الشئ .

وقبل مقتل كاريو بنحو شهرين خرجت سعياً وراء مغامراتى . وعدت إلي البيت فى ساعة متأخرة ، واستيقظت فى صباح اليوم التالى وأنا أشعر بشعور غريب ، ونظرت حولى عبثاً وإلى المفروشات الصارمة وإلى الغرفة الفسيحة وحاولت عبثاً أن أعرف السرير الضخم المصنوع من الخشب وإلى الستائر فقد راح شئ يؤكد لى فى ذهنى أننى لست فى المكان الذى كنت أظن نفسى فيه ، وأعنى به الغرفة الصغيرة بحى سوهو حيث اعتدت أن أنام فيها وأنا فى صورة ادوارد هايد . وسخرت من نفسى ، ورحت أبحث فى تراخ عن أسباب هذا الوهم ، وأنا أترك نفسى أحيانا لاسترخاء الصباح المريح ووقع بصرى على يدى عندئذ ، وأنت تعرف أن يد هنرى جيكل يدقوية وبيضاء وملساء .. أما اليد التى رأيتها ، فى نور الصباح الباهت فكانت نصف مطبقة على ملاءة السرير وضعيفة وعروقها نصف دقيقة قبل أن يعصف بى الهلع ، ووثبت من الفراش وأسرعت إلى المرآة . وما أن طالعتنى صورتى بها حتى شعرت بدمى يتجمد ، وبالبرودة تسرى فى بدنى ، ذلك أننى رقدت فوق الفراش وأنا فى صورة هنرى جيكل وصحوت فى صورة ادوارد هايد ، وتساءلت كيف حدث هذا . واستولى على الذعر ، ولم أدر كيف أعالج الأمر ، فقد تقدم النهار ، واستيقظ الخدم ، وكل العقاقير موجودة

فى المعمل ، ولابد للوصول إليها من اجتياز طرفة كبيرة وأن أهبط طابقين ثم اعبر البهو الخلفى ثم الصالة . وازداد هلعى . كنت أستطيع أن أخفى وجهى طبعاً . ولكن كيف استطيع اخفاء قامتى . وتذكرت فى ارتياح كبير أن الخدم قد رأونى فلبست ثياب جيكل كيفما اتفق ، وخرجت .

ورآنى براوشو ، واتسعت عيناه دهشة وهو يرى مستر هايد يخرج من تلك الساعة وفى ذلك المظهر الغريب . وبعد عشر دقائق استعاد الدكتور جيكل هيئته الحقيقية ، وجلس أمام المائدة يحاول أن يزدرد الطعام والقلق يعصف بكيانه .

فقدت شهيتى تماما ، فقد بدت هذه المغامرة المستغلقه كأنها الحكم باعدامى ، ورحت أفكر بكل جد فى العواقب المحتملة لازدواج حياتى . فإن هذا الجزء من نفس ، الذى فى مقدورى أن أطرحه خارجاً عنى ، قد أخذ يتمرد فى الأيام الأخيرة بفضل التمارين المستمرة والافراط فى الطعام . وبدا لى أن جسد هايد راح يستطيل فى قامته بحيث شعرت وأنا في هيئته بغيض من الدم المتزايد ، وتراء لى الخطر ، فإن هذه الحالة إذا استمرت فإننى أجازف بأن أرى توازن طبيعتى ينهار إلى الأبد ، وأن أفقد قدرتى الارادية فى التحول ، وتحتل شخصية ادوارد هايد شخصيتى إلى غير رجعة مفعول العقار بدأ يفقد تأثيره واضطررت ذات مره ، فى البداية ، إلى مضاعفة الكمية ، بل أننى ، مرة أخرى ، ضاعفتها مرتين معرضا نفسى لخطر الموت . ورأيت أن سلامتى قد أصبحت فى خطر فعلها ، ولكننى ، فى ذلك اليوم . وعلى ضوء حادث الصباح اكتشفت أن الصعوبة فى البداية كانت تقوم على تحويل جسد جيكل إلى جسد هياد ، وأنها أخذت بعد ذلك ، وبصورة تدريجية تنقلب إلى العكس وأدركت أننى أفقد ، شيئاً فشيئاً ، السيطرة على طبيعتى الأصلية فى صالح طبيعتى الثانية والازدواجية .

ورأيت أنه لابد لى من الأختيار بين الطبيعتين . كانت كل منهما قد احتفظت بنفس

الذاكرة ونفس الخصائص . فبيما كان جيكل يشعر أحياناً بأشد المخاوف المشروعة ، وعر أحياناً بحيوية مفرطة فى مشاركة هايد فى متعة وملذاته ، كان هايد لايعبأ بجيكل على الاطلاق ، ويعتبره كأحد لصوص الجبال يلوذ فى مغارة بعيداً عن المطاردات . كانت عاطفة جيكل اكثر من عاطفة أبوية ، واستهتار هايد اكثر من استهتار الابن بأبيه . كانت الصفقه تبدو غير متعادلة ، ولكن اعتباراً آخر كان له ثقله فى الميزان ، فبينما كان جيكل يتعفف ويحرم نفسه من الملذات ، لم يكن هايد يدرك أبداً مايفقده . ورغم غرابة موقفى فان حدود هذه المعضلة كانت قديمة جداً وعادية منذ الازال ، وهى اغراءات ومخاوف تقرر مصير كل عاص يجرى وراء نزواته . وحدث كما يحدث لغالبية اخوانى من البشر أن اخترت الجانب الطيب ، ولكننى افتقرت أخيراً إلى القوة للاستمرار فيه . نعم ، فقبلت أن أكون الطبيب الذى يخطو إلى الشيخوخة والمحروم من وقع الحياة والذى يحف به المعارف والاصدقاء وتحدوه الآمال الشريفة ، وودعت نهائياً الحرية ، وحياة الشباب النسبية الحافلة بالاستخفاف والاستهتار ، والشهوات التى تذوقتها واغترفتها وأنا فى صورة هايد . ولكن هذا الاختيار لم يخل من شئ من التحفظ لأننى لم اتخل عن بيت سوهو ولم أتخلص من ثياب هايد . وبقيت أميناً ومخلصاً للعهد الذى قطعته على نفس طوال شهرين عرفت فيها فرحة الضمير الحى الذى لايثقله شئ ولكن ضعفت ارادتى ووهنت عزيمتى مع مر الأيام ، وكان الأمر بالنسبة لى كالخمر بالنسبة لمدمن الخمر ، فقد أحسست بنظماً شديد لذلك المشروب اللعين ، ولم استطيع الصبر وسرعان ماوجدت نفسى أتجرعه ، ومع ذلك فقد كان فى تجرعه عقابى وجزائى .

وذلك أن روح الشر استيقظت فى أعماقى ، فقد خرجت من البيت يوماً وأنا اتلهف على ارتكاب المعاصى واغتراف الملذات . ورحت أمشى والدنيا لاتسعني ، وإذا برجل يعترضنى مستفسراً عن الطريق. واستولى على الغضب لاستيعانه لى وأنا فى اوج

نشوتى ، ولم أشعر إلا وأنا أهوى عليه بعصاى ، ورحت اكيل له الضربات اثر الآخرى فى غيظ وعنف بحيث انكسرت العصا فى يدى ، ولم اتركه إلا بعد أن أصبح جثة هامدة .

ومع ماأحسست به من سرور عظيم وارتياح كبير لأشباع روح الشر فى نفس فقد هالنى الأمر ، فأسرعت إلى بيت سوهو وأحرقت أوراقى ثم خرجت فى الشوارع المضاءة متجهاً بجريمتى . وفى غمرة سعادتى رحت اخطط لارتكاب جرائم أخرى . وتجرع هايد المشروب نخب صحة الفقيد .

وماأن تم التحول وعدت إلى صورة جيكل من جديد حتى رحت أبكى ندماً وأنا أرفع يدى متوسلاً نحو السماء ، وقد تمزق حجاب الأنانية من أعلاه إلى أسفله ، وبدت لى حياتى فى مجموعها على حقيقتها .

وفى اليوم التالى علمت أن القاتل قد انكشف أمره وأن الدنيا كلها تعرف أن هايد هو الجانى وأن ضحيته رجل مرموق ومعروف . وقد اسعدنى معرفتى بذلك ، لأننى أصبحت بصفتى هنرى جيكل بعيداً عن الشبهة وبعيداً عن خطر الأعدام شنقاً وأنه يكفى أن يظهرها لحظة واحدة حتى تمتد إليه الأيدى وتمزقه شر ممزق ، لهذا سارعت بإغلاق الباب الخلفى لبيتى إلى الأبد وحطمت مفتاحه حتى لايتسنى لى استخدامه ثانية فينكشف أدرى .

ولكن المشروب العجيب كان له رأى آخر ، فبعد أن تجرعته فى تلك الليلة وغدت إلى صورة جيكل من جديد ، أويت إلى فراش وأنا أحس بالامان وقد وطدت العزم على ألا أتناوله ثانية خشية افتضاح أمرى . وصحوت فى اليوم التالى فإذا بى أرى نفسى فى صورة هايد .

ورحت اتجرع المشروب اللعين بطريقة مضاعفة لكى اتغلب على هايد فلا يظهر ، ولكن لكل شئ حدود . ففى يوم صاف من أيام يناير ، جلست فى حديقة بارك أنعم

بأشعة الشمس الدافئة . وراح الحيوان الذى فى أعماقى يلقع ذكرياته .

وقد خبت الناحية الشريرة فيه . ولكننى أحسست فى نفس اللحظة برعشة تسرى فى كيانى . وبدأت اتبين تغييراً فى طريقة أفكارى، وازدراء للخطر وتحرراً من الانقياد للواجب . وخفضت عينى فرأيت أن ملابسى قد اتسعت على أعضائى فى الضامرة ، واليد اليمنى التى كنت أضعها على ركبتى قد غدت معروفة ومشعرة . عدت مرة أخرى ادوارد هايد . كنت قبل ذلك بلحظة واحدة أرانى ثرياً ، محظوظاً ويحترمنى الجميع ، والمائدة تنتظرنى فى غرفة طعامى حافلة بأشهى أنواع الطعام ، ولكننى لم أعد الآن غير طريد لا مأوى له ، كاكل معروف ينتظره حبل المشنقة .

شل عقلى ، ولكننى لم أفقد السيطرة على نفسى تماماً ، فقد رأيت اكثر من مرة وأنا فى صورتى الثانية اننى اتمتع بذكاء خارق وبديهة حاضرة . ولو أن جيكل هو الذى وجد نفسه في هذا الموقف لانهار ، ولكن هايد ارتفع فوق الظروف . كانت العقاقير موجودة فى أحد الادراج بمعملى فكيف الوصول إليها . كانت تلك مشكلة عويصة حاولت أجد لها حلاً . كنت قد اغلقت باب المعمل . ولو أننى حاولت الدخول إليه فإن خدمى سيبلغون البوليس .

كان لابد لى من استخدام وسيط . وفكرت فى لانيون ، ولكن إذا افترضت أن البوليس لايقبض على فكيف أصل إليه ، وكيف أقنعه ، وكيف أفلح أنا الزائر الدكتور جيكل . وتذكرت عندئذ أننى مازلت أملك شيئا خاصا بشخصيتى الأصيلة ألا وهو خطى . وما أن ومضت هذه الحقيقة فى ذهنى حتى تفتح أمامى الطريق الذى يجب أن أتبعه .

أحكمت ثيابى بقدر مااستطعت ، وأوقفت عربة وطلبت من السائق أن يقلنى إلى فندق بشارع بورتلاند تذكرت اسمه صدفة . ولكن إن وقعت عينا السائق على حتى انفرجت اساريره فى ضحكة ساخرة . واقتربت منه وأنا أجز على اسناني غيظاً فتجمدت

الضحكة على ملامحة على الفور ، لحسن حظه . ولحسن حظى أنا الآخر ، لأن الأمر لو استطال لحظة أخرى لانتزعته من مكانه ولحدث مالا تحمد عقباه وماأن دخلت الفندق حتى رددت البصر حولى فى شراسة بحيث اصطرب جميع المستخدمين وسارعوا إلي تنفيذ طلباتى فى خضوع دون أن يجرؤوا على تبادل النظر معى واقتادونى إلى غرفة خاصة واحضروا لى ورقاً وقلماً .

هايد فى خطر الموت كان شخصا جديداً بالنسبة لى ، وما كان سيتردد تحت سورة غضبه واضطرابه من ارتكاب أية جريمة أو تحمل أى الم . ولكنه كان حاد الذكاء ، وبذل جهداً جباراً لكى يتغلب على غضبه . وحرر الرسالتين الهامتين ، إحداهما للاتيون و الأخرى لبولى . ولكى يتأكد من وصولها إلى صاحبيهما أصدر اوامره بارسالهما بالبريد المسجل .

ثم بقى هايد بعد ذلك جالساً طوال النهار أمام النار ، يقرض أظافره فى الغرفة الخاصة التى افردت له . وتناول عشاءه وحده مع مخاوفه ،يقوم على خدمته الموظف الذى را يرتعش تحت نظراته . ولما جن الليل أخيراً ، غادر الفندق ، واستقل عربة مقفله وأخذ يتنقل فى شوارع المدينة . واننى اتكلم عنه بصيغة الغائب ، لابصيغة المتكلم لأن ابن جهنم هذا لم يعد فيه شئ من الآدمية . لم يعد يعيش فيه شئ غير الخوف والحقد . وتوهم أخيراً أن الحوذى قد ارتقت إليه الشكوك فيهبط من العربة وراح يهيم فى الشوارع ، مرتدياً ثياباً غير لائقة به تعرضه للفضول والسخرية . وطفق يمشى والخوف والحقد يعصفان به ، ويحدث نفسه ، ويمشى فى الشوارع التى يقل فيها المارة وهو يعد الدقائق الباقية على منتصف الليل . وفى إحدى اللحظات استوقفته امرأة وعرضت عليه أن تبيعه ثقاب فصفعها وولت هاربة

وعندما عدت إلى طبيعتى فى بيت لانيون راعنى الرعب الذى رأيته على وجه صديقى القديم. ولا أدرى . على كل حال كان ذلك مجرد قطره ماء فى البحر بجوار

الاشمزاز الذى اتذكر به تلك الساعات . فقد تبدل فى شى .

لم أعد أخشى حبل المشنقة ، ولكن مزقتنى فظاعة كونى هايد .

وعدت إلى بيتى وأويت إلى فراش ونمت بعد ذلك اليوم المرهق نوما عميقاً طويلاً لم تؤثر فيه الكوابيس التى ظلت تلاحقنى . وصحوت فى الصباح محطماً وضغيفاً ، ولكن هادئ النفس . لم أكف عن الكراهية والخوف من فكرة الوحش الهاجع فى أعماقى . ولكننى كنت مرة أخرى فى بيتى ، وفى غرفتى ، والعقاقير فى متناولى يدى . وتألقت روحى بالشكر والأمتنان والأمل وأنا أرى نفسى في أمان .

رحت أتمشى فى خطوات وئيدة فى الحوش ، بعد أن فرغت من تناول طعام الأفطار ، مستمتعا بطراوة الهواء عندما اجتاحتني من جديد تلك الأغراض التى تسبق التغيير . وأسعفنى الوقت فعدت إلى معملى وعدت إليه قبل أن أصبح من جديد فريسة لغضب وحقد هايد الجارفين . كان لابد لى من مضاعفة الكمية هذه المرة لكى أعود إلى نفسى . ولكن ، وأسفاه ، فبعد ست ساعات ، وبينى أنا جالس أتأمل النار فى حزن ، اجتاحتنى الآلام مرة أخرى ، ومرة أخرى اضطررت إلى مضاعفة الدواء . صفوة القول ، بدءاً من ذلك اليوم أصبح الأمر صراعاً هيباً بين جيكل وهايد ، ففى أى وقت من الليل أو النهار كانت تعترينى تلك الرعشة ، وكان يكفى أن أنام أو حتى أن أغفو بضع دقائق فى مقعدى لكى استيقظ دائما وأنا فى صورة هايد . واسنفدت الدواء بحيث لم تعد لى القدرة على مقاومة ذلك التغيير ، وانتصر هايد على جيكل نهائياً ،فإن كمية الملح العجيب الذى استعنت به في أولى تجاربى نفذت فأرسلت فى طلب غيرها . وكان الفوران يحدث والغليان كذلك ولكن اللون لايتغير كما كان يحدث من قبل ورحت أتجرعه دون أية نتيجة . وستعرف من بول كيف أجبرته على الطواف على كل صيدليات لندن عبثاً . ومازلت مقتنعاً الآن أن أول كمية اشتريتها من ذلك الملح لم تكن نقية تماماً وأن هذا هو السبب فى عدم فعالية العقار الآن وأنا أستخدم الملح

النقى .

ومر اسبوع منذ ذلك اليوم ، وهاانذا أفرغ من ذلك الاعتراف تحت تأثير آخر جرعةمن المزيج القديم . وإذا لم تقع معجزة فهذه آخر مرة استطيع التفكير فيها بفعل هنرى جيكل ، أو أن أرى صورتى الحقيقية فى المرآه . ثم أننى لايجب أن أطيل الكتابة ، وإذا كانت قصتى هذه لم تصبح أثراً بعد عينى فذلك بفضل احتياطات كثيرة وفرص سعيدة . وإذا حدث وهجمت على أهوال التبدل وأنا اكتب فإن هايد كفيل بأن يمزق هذه الرسالة شر ممزق . أما إذا مر بى بعض الوقت بعد كتابتها بحيث استطيع أن أضعها فى مكان أمين فسوف تنجو من عقده وغله الشديدين ، ثم أن المصير الذى سوف يطبق علينا معا قد غيره وقهره ، فبعد نصف ساعة عندما اتبدل من جديد إلى صورة هايد أعرف مسبقاً أننى سأبقى فى مقعدى ارتجف وأبكى أو استمر فى حالة من الذعر الشديد أذرع هذه الفرقة طولاً وعرضاً .. ملاذى الأخير على الأرض ، وأنا أصيخ السمع إلى كل الأصوات المنذرة بالخطر . هل سيموت هايد شنقاً ؟ أم أن الشجاعة ستواتيه في آخر لحظة فينتحر ؟ الله وحده يعلم ذلك . ولا يهمنى ذلك على كل حال . فهذه هى ساعة الخلاص الحقيقى ، وماسوف يقع إنما يهم شخصاً آخر غيرى وهأنذا ألقى القلم من يدى ، وبعد أن اختم اعترافي سأضع حداً لحياة هنرى جيكل المنكود الحظ

تمت



روايات عالمية



* أحدب نوتردام	(فيكتور هوجو)
* عقد الملكة	(الكسندر ديماس)
* سجين زاندا	(أنطونى هوب)
* أوليفر تويست	(تشارلز ديكنز)
* الجريمة والعقاب	(دستوفسكى)
* ذهب مع الريح	(مرجريت ميتشيل)
* ديفيد كوبر فيلد	(تشارلز ديكنز)
* يد القاتل	(روبرت بيتمان)
* كل شيء هادىء في الميدان الغربي	(أريك ماريا ريمارك)
* جبل المشنقة	(رفائيل ساباتينى)
* تراس بولبا	(نيقولاى جوجول)
* مرتفعات ويذرنج	(شارلوت برونتى)
* بائعة الخبز	(كزافييه دى مونتبان)
* نشيد الثورة	(كلود هوتون)
* محاكم التفتيش	(رفاييل ساباتينى)
* الرجل الضاحك	(فيكتور هوجو)
* كوخ العم توم	(هاريت بيتشر ستاو)
* مارى أنطوانيت	(ليون دوديه)
* الكونت دى مونت كريستو	(إسكندر ديماس الكبير)
* قصة مدينتين	(تشارلز ديكنز)



اسكندرية ... ش سعد زغلول - ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة - ... ب ش رمسيس - ت : ٥٧٤٣٦١١